أسس الوحدة الفكرية

عند
بديع الزمان سعيد النورسي

الدكتور عبد الكريم عكيوي
جامعة ابن زهر-اغادير المغرب

تـــقـــديـــم

الحمد لله خالق الأنام، يأمر بالحق والعدل ويدعو إلى دار السلام، ويرفع المصلحين من أهـــل العلـــم أعلى مقام. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعلمين، محمد بن عبد الله وعلى آلـــه وأصـــحابه والتابعين وتابعيهم بإيمان وإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد أتى على المسلمين في القرون الأخيرة حين من الدهر، ليسوا فيه شيئا مذكورا. فقد ركنوا –بعد قوة وعزة– إلى العجز والضعف، واستسلموا للغفلة واليأس. وإن من وجوه هـــذا الضعف والركود، شدة الاختلاف وكثرة التدابر، والتراشق بالتهم بين طوائف المسلمين ومذاهبـــهم الفكرية، وتبادل التجريح والتقبيح حتى بين الصفوة من أهل الفقه والعلم.

وقد اشتد الخلاف بين طوائف المسلمين ومذاهبهم الفقهية والكلامية حتى أصبح مرضا يعوق ســـير أحوال الأمة ويشوش على جهود المصلحين، لأنه شق صف الأمة وفرق كلمتها وأضعف قوتها. وزاد الأمر إدبارا وخطورة لما وضع خصوم الأمة أيديهم على هذا الجرح فجعلـــوا يحركـــون الخلافـــات ويثيرون النعرات والقوميات.

وقد تنبه غير واحد من العلماء والمصلحين المعاصرين إلى خطورة هذا الداء فاجتهدوا من أجل إعادة ما تهدم من بناء الأمة، وإصلاح ما فسد من أحوالها، فعملوا على ضبط مسألة الخلاف.

وكان الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي أحد من تولى هذا الأمر. فكان من غاياته التي وضعها بين عينيه ووقف عمره عليها، إنقاذ الإيمان في النفوس وتجديد الدين في القلوب، وإصلاح مناهج التفكير وطرق التعليم. ولما رأى أن هذه المهمة تقف دونها عقبات كثيرة، منها فشو الاســـتبداد الفكـــري والتعصب المذهبي بين المسلمين، وشدة العدوات بسبب الحسد والجهل وضيق الأفـــق، وإن ذلـــك سيحرك العداء والخصومة ضده لا محالة، فقد اختط لنفسه منهجا دقيقا في ما قد يعـــرض لـــه مـــن

الخلاف مع غيره من أهل العصبية من المسلمين أولا، ومع عامة أهل الفكر والثقافة من دعاة العلمانية ثانيا، ثم مع المخالفين في الدين من النصارى وغيرهم. وصاغ رحمة الله عليه منهجه هذا في قواعد عامة وضوابط كلية، مع التأصيل لها،ثم التزم بها في أعماله وتصرفاته. وهذه القواعد ليست مجموعة في موضع واحد من رسائله، وإنما توجد مبثوثة فيها مفرقة في أجزائها. وإن صياغته لهذه القواعد وعمله بها تعد بحق عمليا تجديديا مهما. وخلاصة منهجه هو تقريب شقة الخلاف بين المجتهدين، واعتبار الخلاف علما وصناعة لأنه يحتاج إلى تدبير وضبط وتقعيد، بل أكثر من ذلك يجعل الخلاف المنضبط البناء ضروريا لنشاط الحركة العلمية وازدهار المعرفة. ثم بعد هذا كله فإنه رحمة الله عليه وضع طرقا عملية واضحة للعمل فيما يحصل فيه الخلاف ولا يمكن فيه الاجتماع على رأي واحد.

وقد حاول هذا البحث أن يلم بجوامع ذلك، وأن يجمع ما تفرق منه في رسائل بديع الزمان النورسي، وأن يتتبع أصوله الشرعية، ويضم إلى ذلك عمله به وتطبيقاته العملية في حياة الرجل العلمية والعملية، مع مراعاة حسن التقديم والترتيب.

ولابد من الإشارة إلى أن هذا البحث في أصله، عرض تقدم به المؤلف إلى المؤتمر العلمي الذي نظمته كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط بالمغرب، بتعاون مع مركز الثقافة والعلوم باستمبول بتركيا بتاريخ 17 – 18 مارس 1999 ، في موضوع" تجديد الفكر الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري". وبعد نهاية المؤتمر أشار الدكتور إحسان قاسم الصالحي حفظه الله بتفصيل العرض حتى يكون موضوع كتيب تعم الفائدة بنشره.

واستجابة لرغبة هذا الرجل الفاضل، أقدم هذا البحث لعموم الباحثين ولعامة المسلمين لعله يفيد في تقديم علاج ناجع لمعضلة الخلاف الفكري والمذهبي بين المسلمين.

وكان عنوان هذا البحث في أصله لما قدم إلى المؤتمر :"جهود بديع الزمان النورسي في إرساء أسس الوحدة الفكرية وتثبيث الحوار العلمي في عصره" ثم رأيت اختصاره في عنوان: " أسس الوحدة الفكرية عند بديع الزمان النورسي". وقد جاء- بعد المقدمة- في تمهيد وثلاثة مباحث:

أما المبحث الأول فهو خاص ببيان أسباب الاختلاف كما رصدها بديع الزمان النورسي، مع بيان طرق علاجها. وتم تفصيل ذلك في ستة أسباب هي:

أولا:الجهل بحقيقة الإسلام وتوهم التعارض بين القرآن والعلم.

ثانيا:الاستسلام لغرائز النفس والغفلة عن التربية الروحية.

ثالثا: الإفراط في العزة وعلو الهمة والغلو في الشعور بالقوة.

رابعا: غياب ميزان العقل.

خامسا:انعدام التنظيم وقلة الضبط.

سادسا:الاستبداد والتعصب.

وأما المبحث الثاني فهو خاص ببيان الأسس النظرية للوحدة الفكرية من خلال نوعين من الأسس هما: الأسس الشرعية والأسس العقلية.

وأما المبحث الثالث ففيه بيان الأسس العملية للوحدة الفكرية من خلال تسعة أسس هي:

أولا:جعل الاختلاف الفكري ثراء علميا.

ثانيا:العبرة بالأفكار وليس بالأشخاص.

ثالثا: التزام آداب الحوار وطرق المناظرة.

رابعا:النظرة الشاملة المستوعبة في تقويم الأعمال والأشخاص.

خامسا:مراعاة أحوال الزمن المعاصر.

سادسا:مراعاة الخلاف عند تعذر الاتفاق.

سابعا:التحلي بضبط النفس والإنصاف مع المخالف.

ثامنا: الحذر والفطنة.

تاسعا:إعمال الشورى في الاجتهاد والحكم، عن طريق "مجلس الشورى العلمي" و" النظام النيابي البرلماني".

وقبل الشروع في تفصيل قضايا هذا البحث أرى من الواجب أن أذكر شيئا عن بديع الزمان النورسي رحمة الله عليه، لأنه يحتاجه من ستكون قراءة هذا البحث أول عهد له بالنورسي، وإن كان هذا التعريف لن يغني أبدا عن مطالعة ترجمة الرجل في الكتب التي فصلت ذلك.

ولد بديع الزمان سعيد النورسي عام 1294 للهجرة النبوية، الموافق للعام الميلادي 1877 ، من أسرة كردية في قرية "نورس" التابعة لولاية "بتليس" شرق تركيا. وقد اعتنت به أسرته فنشأ في بيت علم وفضل مما كان له أثر في تكوينه، فظهرت عليه علامات النبوغ والذكاء منذ طفولته. وقد استوعب كل المقررات الدراسية التي كان متداولة في المدارس العلمية في منطقته ثم تجاوز ذلك إلى العلوم المادية الحديثة، حتى صار عالما موسوعيا بشهادة كل من لقيه أو حاوره. وكانت حياته كلها حياة جد واجتهاد من أجل إظهار حقائق الإيمان وإصلاح أحوال المسلمين، وتجديد الفكر الإسلامي. وقد واجه من أجل ذلك أنواعا كثيرة من المعوقات ولحقه أذى كثير من خصومه. فقد أعلن الإلحاد في عصره ونكل بالمصلحين من علماء الإسلام.فقد عانى رحمة الله عليه آلام الغربة في المنافي البعيدة، ونالته وحشة السجون النائية المظلمة. لكنه لم يستسلم لشيء من ذلك لأنه جعل القرآن الكريم أنيسه وجليسه فوجد السلوان في هديه وحقائقه. وقد جعل غايته خدمة القرآن الكريم وإظهار أنواره للعالم، لأنه رأى أن عصره عصر إنقاذ الإيمان. وقد انفرد هذا الرجل بكثير من الفضائل التي تعز في هذا الزمان، منها انقطاعه الكامل للمهمة التي جعلها غاية حياته، فعزف عن كثير من المباحات، فما عرف عنه أنه بنى بيتا أو اقتنى سيارة أو تزوج امرأة...أو استقر به المقام في بلدة معينة جعلها محل عيشه وموطن إقامته. ومن مميزاته أيضا قوة أفكاره التي استمدها من القرآن،

فقد أقام الحجة على فساد مناهج الفلسفة الوضعية الغربية، وقدم الأدلة القوية التي ترسخ قضايا العقائد والإيمان، وجمع ذلك كله في رسائله المعروفة برسائل النور. وتميز أسلوبه رحمه الله بالمحاكمة العقلية والنفحات الوجدانية، فمن يقرأ رسائله يشعر بالرقي المعنوي والسمو الروحاني، وبالرقي العقلي والسمو الفكري.

توفي رحمة الله عليه بعد حياة حافلة بالجد والعمل والجهاد العلمي والفكري والدعوي عام 1379 للهجرة النبوية الموافق للعام الميلادي 1960 . وإن أثره ومسلكه العلمي مازال قائما في تركيا ، ونهجه في التربية والدعوة مازال يؤتي أكله، وإن علمه وأفكاره قد امتد أثرها إلى أجزاء كثيرة من البلاد الإسلامية. فقد اكتسب رحمة الله عليه البقاء المعنوي بعد موته، فتوارى جسده في التراب، لكن ذكره مازال حيا لأن أفكاره ونظراته مازالت حاضرة بين الناس، يتدارسونها ويتقربون بها إلى الله ، ويستفيدون منها الرقي الفكري والمعنوي. وهذه حقيقة من الحقائق التي عبر عنها رحمة الله عليه، فبين أن الوجود المادي ليس شيئا لأنه لا محالة إلى زوال، إنما الوجود الحقيقي هو البقاء المعنوي، وذلك لا يحصل لا لمن غرس شجرة الخير والصلاح. قال رحمة الله عليه:"إن كل موجود بعد ذهابه من الوجود، يذهب إلى العدم والفناء ظاهرا، ولكن تبقى المعاني التي كان قد أفادها وعبر عنها وتحفظ، وتبقى كذلك هويته المثالية...بمعنى أن الموجود يفقد وجودا ظاهريا صوريا، ويكسب مئات من الوجود المعنوي والعلمي"[1] وإن بديع الزمان النورسي قد اختفى جسده، ولا يعلم حتى أقاربه مكانه ولا موضع جثمانه، لأن خصومه أرادوا إعدام ذكره، فغيبوا قبره عن أنظار الناس، ولكن غاب عنهم أن الرجل قد سكن قلوب أتباعه ومحبيه.

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم   على الهدى لمن استهدى أدلاء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا   الناس موتى وأهل العلم أحياء

فخدمة القرآن كما سنها بديع الزمان النورسي مازالت قائمة، وتجديد الإيمان الذي كان غايته مازال ماضيا، يعاين ذلك من عايش الحركة الإسلامية في تركيا، وما يقوم به طلبة النور من خدمة الثقافة الإسلامية الصحيحة، القائمة على تزكية النفس وتربية العقل، وسعة الأفق وبعد النظر، والوسط والاعتدال، والحوار والإنصاف، والجمع بين الاعتقاد والسلوك، والعلم والعمل. وقد كانت هذه غاية النورسي وهدفه الذي كان يستشرف من خلاله مستقبله بع موته، فعبر عن ذلك قائلا:" أما من حيث العمل للقرآن، فلقد وهب لي الله سبحانه وتعالى إخوانا ميامين في العمل للقرآن والإيمان. وستؤدى تلك الخدمة الإيمانية عند مماتي في مراكز كثيرة بدلا من مركز واحد. ولو أسكت الموت لساني فستنطلق ألسنة قوية بالنطق بدلا عني وتديم تلك الخدمة. بل أستطيع القول إن بذرة واحدة تحت التراب تنشئ بموتها حياة سنبلة وتتقلد مائة من الحبات الوظيفة بدلا عن حبة واحدة. فآمل أن

---

1 (المكتوبات ص 378 – 379).

يكون موتي كذلك وسيلة لخدمة القرآن أكثر من حياتي"[2] وإنني أرجو أن يكون هذا البحث من حبات البذرة النورسية، وثمرة من ثمار شجرته اليانعة، رحمه الله رحمة واسعة.

"ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب" وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عبد الكريم عكيوي أبو معاذ.

تمهيد:

إن اختلاف المدارك والأنظار، وتنوع الأفكار البشرية ، مسألة شغلت اهتمام الباحثين والدارسين في الفكر الإنساني عبر العصور. وكانت أيضا موضع عناية في الفكر الإسلامي، خاصة بعد عصر النبوة. ففي عهد رسول الله ρ كان القرآن الكريم والسنة النبوية مرجعا عند الإشكال وموئلا عند الاختلاف، فلم يكن لاختلاف الفهم والنظر أثر كبير في حياة المسلمين، لأن كل اختلاف ينتهي بعد حين إلى ائتلاف واجتماع على رأي واحد، عندما يرفع الأمر إلى رسول الله ρ أو ينزل الوحي فيحسم الأمر. فقد كان نزول الوحي يساير حركة المجتمع وكان النبي صلى الله عليه وسلم قائما بأمر الإمامة والحكم والقضاء في جميع الحوادث، إما بالقرآن الكريم أو بسنته القولية أو العملية، حتى قال ابْنِ عُمَرَ رَضِي اللَّه عَنْهمَا : كُنَّا نَتَّقِي الْكَلَامَ وَالانْبِسَاطَ إِلَى نِسَائِنَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ρ هَيْبَةَ أَنْ يَنزِلَ فِينَا شَيْءٌ فَلَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ρ تَكَلَّمْنَا وَانْبَسَطْنَا [3]* حتى إذا اكتمل الدين وتمت النعمة، انتقل النبي ρ إلى الرفيق الأعلى، فانتقل أمر تدبير شؤون المسلمين والبث في قضاياهم والحكم بينهم والاجتهاد في ما ينزل بهم إلى أهل العلم والخبرة من الصحابة ثم من جاء بعدهم إلى أن تقوم الساعة. ومن المعلوم بالبداهة والضرورة، أن الصحابة ومن بعدهم ليس لهم ما للنبي ρ من التأييد بالوحي والعصمة من الغلط والخطأ. فحكم النبي ρ في المسألة ليس كحكم غيره في القوة والحجية، وبيان مراد الله تعالى من كلامه، إذا كان من اجتهاد غير النبي ρ، ليس في القوة مثل ما إذا كان ممن لا ينطق عن الهوى، وذلك لحصول المزية والفضل، والشرف والرفعة للنبي ρ على من سواه. ومعنى ذلك بالضرورة أن الاجتهاد من غير النبي ρ يحتمل الصواب والخطأ، وإن الناس بعده يحصل منهم- لا محالة- الاختلاف في فهم مراد الله ومراد رسوله ρ، وفي بيان الصواب وتقدير المصالح فيما يعرض للناس في شؤون دينهم وأحوال دنياهم. وإذا حصل الاختلاف، وجد الصواب والخطأ،

---

2 (المكتوبات ص 549).

3 - البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء.

فيكون الاحتمال قائما أن يذهب الناس مع الخطأ ويعرضوا عن الصواب. وإذا كان هذا الاختلاف في ما تعم به البلوى وما يتصل بالقضايا العامة للأمة في السياسة والاقتصاد والعلاقات الدولية، فلابد من أن يتمحض العمل على رأي واحد، وهذا يفرض أن يتواضع الناس على منهج للاختيار يحسم الخلاف عند إرادة العمل. وإذا تعذر الجمع بين المختلفين و لم يمكن إلزام فريق فريقا آخر برأيه، فكيف يمكن بقاء كل فريق على مذهبه والتمسك بصواب رأيه دون أن يؤثر ذلك في وحدة الصف واجتماع الكلمة؟ ولا يخفى أن هذه الأمور كلها ليست من الأمور اليسيرة ولا القضايا الهينة، وإنما يتم ضبطها باجتهاد المخلصين من الأمة وأهل الخبرة والدراية فيها.

وإن الخوف من أن تقف الأمة، بعد رسول الله ρ، دون ذلك كله هو الذي جعل بعض الصحابة يحزنون بعد نزول قول الله عز وجل:'' **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**''[4] روى ابن جرير بسنده أنه لما نزلت، وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر فقال له النبي ρ: ما يبكيك؟ قال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال ρ: صدقت.[5] ووجه ذلك أن أمر الاجتهاد في قضايا الأمة قد انتقل من النبي ρ إلى أهل العلم من أمته كما هو مقرر في حديث:''إن العلماء ورثة الأنبياء''[6] وإن اجتهاد العلماء يحتمل الصواب والخطأ، ومن أخطأ منهم قد يظهر خطؤه وقد لا يظهر، وإذا ظهر قد يرجع عنه وقد لا يرجع. وكيف لعامة الناس أن يعملوا بما اختلف فيه؟ فهذا بداية النقص عن عهد النبوة.

وهذا وجه ما ورد عن أَنَسٍ قَالَ لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ وَمَا نَفَضْنَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَيْدِيَ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا *[7] وفي لفظ عند الدارمي قال أنس: شَهِدْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدْتُهُ يَوْمَ مَوْتِهِ فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [8]* وممن أدرك هذا المعنى أيضا أم أيمن رضي الله عنها كما ورد في حديث أَنَسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِي اللَّه عَنْه بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ

---

4 – المائدة: 3 .

5 – و في إسناد الطبري لهذا الخبر ضعف.

6 – أبو داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم. الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل العلم على العبادة. وأورده البخاري في التراجم في كتاب العلم من جامعه في باب العلم قبل القول والعمل. قال الحافظ ابن حجر:''له شواهد يتقوى بها، و لم يفصح المصنف بكونه حديثا فلهذا لا يعد في تعاليقه، لكن إيراده له في الترجمة يشعر بأن له أصلا، وشاهده من القرآن قوله تعالى''ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا''. (فتح الباري. 1 / 160 .

7 – الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم. ابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

8 – الدارمي، المقدمة باب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

نـــزورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَزُورُهَا فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ فَقَالَا لَهَا: مَـــا يُبْكيك، مَا عنْدَ اللَّه خَيْرٌ لرَسُوله صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَتْ مَا أَبْكي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عنْـــدَ اللَّه خَيْرٌ لرَسُوله صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَلَكنْ أَبْكي أَنَّ الْوَحْيَ قَد انْقَطَعَ منَ السَّمَاء فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاء فَجَعَلَا يَبْكيَان مَعَهَا *[9] فكانت أم أيمن رضي الله عنها تبكي لما رأت من انقطاع الوحي ووفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أدى أمانة التبليغ عن الله ، وانتقال أمانـــة الفهـــم عـــن الله وتنـــزيل أحكام الوحي على الحياة ووقائعها إلى أولي الأمر من أمته، فأشفقت رضي الله عنها أن لا يفي ألو الأمر بحق هذه الأمانة، وذلك لأن الحاجة تدعو إلى الاجتهاد في الفهم عـــن الله وتنـــــزيل نصوص الوحي على محالها، وإذا وجد الاجتهاد حصل الاختلاف، وإذا حصل الاختلاف لم يؤمن أن يؤثر في أحوال المجتمع وينال من وحدة الأمة. ولقد حصل شيء من ذلك من أول ما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قالْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهم عَلَيْه وَسَلَّمَ وَإِنَّمَا وَجْهُنَا وَاحدٌ فَلَمَّا قُبِضَ نَظَرْنَا هَكَذَا وَهَكَذَا *" فَقَد اخْتَلَفَ الْمُسْلمُونَ قبل دفن رسول الله في الْمَكَـــان الَّذي يُحْفَرُ لَهُ فَقَالَ قَائلُونَ يُدْفَنُ في مَسْجده وَقَالَ قَائلُونَ يُدْفَنُ مَعَ أَصْحَابه فَقَالَ أَبُو بَكْـــرٍ إِنِّـــي سَمعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفنَ حَيْثُ يُقْبَضُ قَالَ فَرَفَعُوا فـــرَاشَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهم عَلَيْه وَسَلَّمَ الَّذي تُوُفِّيَ عَلَيْه فَحَفَرُوا لَهُ ثُمَّ دُفنَ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَـــلَّمَ.[10] ثم اختلف المسلمون أولا في أمر الخلافة إلى أن اجتمع الأمر على تولية أبي بكر.

فيظهر من هذا أن أول مسألة عرضت للمسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي تحقق الاختلاف عند النظر في القضايا العامة للأمة والاجتهاد في أمور الدولة والشؤون العامـــة السياســـية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية وغيرها، وظهور الحاجة إلى قانون يضبط هذا الاختلاف ويمكـــن من الاختيار والترجيح عند العمل، ويحفظ وحدة الأمة وتعاون المختلفين وتواضعهم علـــى قواعـــد للتعامل فيما يختلفون فيه. ولهذا تنبه الصحابة والمسلمون من بعدهم إلى التغيير الذي حصل في تاريخ الإسلام وأحوال المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدركوا أن الحياة لا تستقيم إلا بالاجتهاد وإن الاجتهاد يكون منه الخلاف لأنه لا يمكن التسوية بين مدارك المجتهـــدين وهيهـــات هيهات أن يجتمع الناس على فهم واحد. وفي تقرير هذه الحقيقة يقول الشاطبي:‘‘وقد ثبـــت عنـــد النظار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاخـــتلاف فيهـــا.’’[11]
وكان كلما مضى الزمان وبعد العهد عن زمن النبوة، زاد الاختلاف باتساع الاجتهاد. فكان لابد إذن من تحرير مسألة الاجتهاد وضبط الاختلاف، فحرروا هذا الموضوع تحريرا لا مزيد عليه .

---

9 – مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم أيمن. ابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ذكر وفاة ودفنه صـــلى الله عليه وسلم.

10 – ابن ماجه، كتاب ما جاء في الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم.

11 - الاعتصام : 2 / 145 .

وكان فائدة نظر علماء الإسلام في ذلك أن المعرفة والحقائق العلمية في جميع مجالات العلم والفكر لا تزيد على ثلاثة أقسام وهي:

1- قسم من الحقائق مقطوع بصحته، لا يجوز الاختلاف فيه، وسموه " المعلوم من الدين بالضرورة"، لا يسع العاقل الا التسليم به وعدم المنازعة فيه. وهذا القسم يشمل أصول العقائد والأحكام الشرعية العامة وكليات الشريعة.

2- قسم مقطوع ببطلانه، وهو مقابل للأول، فمن قطع بصحة القسم الأول قطع بالضرورة ببطلان مقابله. وهذا القسم يشمل ما ثبت بالقطع من المنهيات مثل الكفر والشرك في العقائد، والظلم والفساد في المعاملات، فهذا أيضا لا يصح فيه الاختلاف.

3- قسم وسط بين الأمرين، ليس له من القطع في ثبوته أو في دلالة النصوص الشرعية عليه ما يلحقه بأحد القسمين قبله، فيتجاذبه جانب الصحة وجانب البطلان، وهذا هو موضع النظر ومجال الاجتهاد وهو الذي يسع الاختلاف.

وبناء على هذه النظرة الدقيقة كان الاختلاف في النظر والاجتهاد سببا لنشاط الحركة العلمية والفكرية في القرون الأولى من تاريخ الإسلام، فكانت المدارس الاجتهادية ووجد من ذلك توسع كبير في الفكر الإسلامي، وتمحضت علوم كثيرة، وكانت مناهج المناظرة ومجالسها لتحاور المختلفين ولم يكن ذلك سببا للتنازع والشقاق وضعف قوة المسلمين وذهاب سلطانهم، وإنما كان هذا الأساس الذي قامت عليه الحضارة الإسلامية في أزهى عصورها

ولم يبق الأمر على ذلك وإنما حل الاختلاف المذموم محل الاختلاف المحمود، ورسخ الشقاق بين المسلمين بسبب الاختلاف في الفهم والاجتهاد، وحصل التعصب للآراء واشتهر الانتصار للمذاهب فكان هذا سببا لركود الفكر الإسلامي في العصور الأخيرة ركودا بينا، لأن كل ذي رأي يتعصب لرأيه ويشنع على مخالفه، ومازال أثر ذلك إلي يومنا هذا، وهذا شيء واقع مشاهد وليس متوهما مظنونا. وقد عبر بديع الزمان النورسي عن هذا الركود وعن زمنه بالتحديد فقال: ((إن معاصري - مع الأسف- وإن كانوا أبناء القرن الثالث عشر الهجري إلا أنهم تذكار القرون الوسطى من حيث الفكر والرقي، وكأنهم فهرس ونموذج وأخلاط ممتزجة لعصور خلت من القرن الثالث إلي الثالث عشر الهجري، حتى عدا كثير من بدهيات هذا الزمان مبهمة لديهم))[1]

ولهذا، وبعد بداية الصحوة الإسلامية في العصر الحديث، وظهور بوادر البعث والنهضة الفكرية في العالم الإسلامي، كانت قضية الاختلاف هذه محل عناية عند المصلحين ورجالات الفكر الإسلامي المعاصر، لأنهم أدركوا أنها من معوقات الفكر الإسلامي.

ومع بداية القرن العشرين الميلادي تنبه الشيخ بديع الزمان النورسي رحمه الله لهذه المسألة فوقف عندها ناظرا متأملا فاحصا، على عادته رحمه الله في تأملاته ونظراته العميقة في حقائق الأشياء، فنطق

---

(1) - ((صيقل الإسلام)) ص: 24.

لسانه معبرا عن ذلك التأمل قائلا:" سؤال مهم ومثير للدهشة، لماذا يختلف أصحاب الدين والعلماء وأرباب الطرق الصوفية وهم أهل حق ووفاق ووئام بالتنافس والتزاحم، في حين يتفق أهل الدنيا والغفلة، بل أهل الضلالة والنفاق من دون مزاحمة ولا حسد فيما بينهم، مع أن الاتفاق من شأن أهل الوفاق والوئام، والخلاف ملازم لأهل النفاق والشقاق. فكيف استبدل الحق والباطل مكانهما فأصبح الحق بجانب هؤلاء والباطل بجانب أولئك !))[2] ويقول أيضا: ((إنه لمن العجب وموضع الأسف: إذ بينما يضيع أهل الحق والحقيقة القوة العظمى في الاتفاق بالاختلاف فيما بينهم، يتفق أهل النفاق والضلالة للحصول على القوة المهمة فيه-رغم اختلاف مشاربهم- فيغلبون تسعين بالمائة من أهل الحقيقة مع انهم لا يتجاوزون العشرة بالمائة.))[3] ثم تبين له بعد ذلك أن هذا الاختلاف والشقاق بين أهل الإسلام من أهم أسباب الركود والتخلف في العالم الإسلامي فيقول: ((لقد تعلمت من واقع الحياة الاجتماعية ومن الواقع الذي تعيشه البشرية في يومنا هذا أن هناك ستة أمراض قاتلة جعلتنا نقف على أعتاب القرون، ونتيه في مسالكها المظلمة، في الوقت الذي طار فيه الأجانب-ولاسيما الأوربيين- بخطى سريعة نحو المستقبل، وهم يتسابقون في ميادين الرقي والتقدم العلمي. وهذه الأمراض هي: أولا حياة اليأس... ثانيا: موت الصدق في حياتنا... ثالثا: حب العداوة... رابعا: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض. خامسا: الاستبداد... سادسا: حصر الهمة في المنفعة الشخصية))[4] وليس حب العداوة والجهل بالروابط النورانية بين المؤمنين الا مظهرا للاختلاف والتنازع والشقاق.

وقد اجتهد رحمه الله لمداواة هذا الداء فعمل على استقصاء أسباب الاختلاف وجذور الشقاق وتحريرها، وحصر الروابط الإنسانية التي تجمع البشر كلهم وحرر حقائق الحياة البشرية التي يسلم بها العقل البشري مهما اختلفت العقائد وتنوعت النحل، ثم رصد الروابط التي تجمع بين المسلمين وغيرهم على مراتبها بحسب اختلاف العقائد والمذاهب والنحل، ثم الروابط الروحية والمعنوية والواقعية التي تربط بين جميع المنتسبين إلى الإسلام. وبعد ذلك كله وضع القواعد العملية التي يجب اتباعها فيما لا يمكن الاتفاق عليه، لأنه لا يمكن القطع فيه برأي، وسار هو نفسه على هذه القواعد وأوصى بها طلبته.

فهذه هي جهوده في إرساء الوحدة الفكرية وتثبيت الحوار العلمي على جهة الاختصار والإجمال، أما على جهة البيان والتفصيل فهي على النحو الآتي:

1- أسباب الاختلاف والتنازع وسبل إزالتها.
2- الأسس النظرية للوحدة الفكرية.

---

(2) –((اللمعات)) ص: 226.
(3) –((سيرة ذاتية)) ص 314.
(4) – ((الخطبة الشامية)) ص 30-31.

3 -الأسس العملية للوحدة الفكرية

المبحث الأول: أسباب الاختلاف والتنازع وسبل إزالتها.

تقدم في التمهيد أن الاختلاف الفكري الناشئ عن الاجتهاد فيما لا يمكن القطع فيه برأي واحد، كان سبب توسع الفكر الإسلامي في زمن السلف الصالح من التابعين وأتباعهم، وسبب ازدهار الحضارة ورقي المعرفة الإسلامية. ووجه ذلك أن غرض الجميع هو الوصول إلى الحق والرجوع إليه عندما يتبين حيث ما كان على لسان كل فريق، فلم يكن هذا الاختلاف سببا في التنازع والشقاق والتراشق بالتعنيف والتقبيح، بل إن علماء الإسلام اشترطوا في المجتهد معرفة مواطن الإجماع ومواطن الخلاف، وقالوا بمراعاة الخلاف واعتبار الرأي المخالف عند الاجتهاد، فليس كل خلاف مذموما الا إذا أدى إلي التنازع والشقاق. وقد استوعب بديع الزمان النورسي هذه الحقيقة وعبر عنها في مكتوباته حيث جعل الخلاف قسمين: هما الاختلاف الإيجابي والاختلاف السلبي.

أما الاختلاف الإيجابي فهو الذي يحصل بعد الاتفاق على الأسس الجامعة للمختلفين والاجتماع على غايات واحدة، فيجتهد كل واحد لمعرفة الحق وتحري الصواب، فإذا لم يحصل الاتفاق على رأى واحد لم يحل لأحد القطع بصحة رأيه وخطأ رأي غيره، وإنما يبقي كل واحد الاحتمال لخطأ رأيه ولصواب رأي غيره. يقول رحمه الله: ((إن تصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلي الحقيقة إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة وإظهار زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح))[5]. وفي توجيه ما روي في الحديث من أن الاختلاف رحمة[6]، يقول ((إن الاختلاف الوارد في الحديث هو الاختلاف الإيجابي البناء المثبت، ومعناه أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلا))[7]. وأما الاختلاف السلبي، فهو الذي يكون مع الرغبة في الشهوة ونيل حظوة التفرد بالصواب والسداد، وإماتة كل مذهب مخالف. يقول رحمه الله: ((أما الاختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الاختلاف مردود أصلا في نظر الحديث، حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل إيجابي بناء... إن كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهوة وحب الظهور، فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع

---

(5) -((المكتوبات)) ص 347.

(6) – حديث ((اختلاف أمتي رحمة)) حديث ضعيف.

(7) -((المكتوبات)) ص 347.

من بسط الأفكار...))[8] فهذا الجنس من الاختلاف هو المقصود هنا وانه سبب الركود والتخلف، وهو الذي تولى الأستاذ النورسي إصلاحه ليتحول من اختلاف سلبي إلي اختلاف إيجابي.
أما أسباب هذا الاختلاف والتنازع فهي:

- 1-الجهل بحقيقة الإسلام وتوهم التعارض بين الوحي والعلم، والتنافر بين الدين والدنيا:

تنبه الشيخ بديع الزمان النورسي إلى مسألة طارئة مختلقة، ووضع يده على قضية محدثة متوهمة لم يشهدها تاريخ الإسلام قبل العصر الحديث. وهذه القضية بمنزلة ورم شديد وداء عضال يعوق سير جسد المسلمين سويا، ويمزق وحدتهم ويفرق جماعتهم. فعلى امتداد التاريخ الإسلامي، لم يخطر ببال أحد من علماء الإسلام ولا جرى على لسانه أن الوحي مناقض لحقائق الكون والحياة والإنسان، التي يكشف عنها العقل البشري، ويهتدي إليها الإنسان من خلال العلوم المادية والتجريبية التي تعتمد على تراكم الخبرة وزيادة اللاحق على السابق. حتى إذا جاء العصر الحديث- وبعد عصور الركود التي ركن فيها المسلمون إلى التقليد ومنهج التواكل والفكر الخرافي ، ثم حصول النهضة الأوربية واقتحام الفكر الغربي وحضارة الغرب وثقافته للبلاد الإسلامية وبسط العلم المادي التجريبي سلطانه- نبتت في عقول كثير من أهل الثقافة والفكر المسلمين نبتة غريبة، فصاروا يعتقدون أن الوحي (القرآن والسنة النبوية الصحيحة) و العلوم الحديثة ضدان لا يلتقيان حتى يطرد أحدهما الآخر. وسبب ذلك أن طائفة من المسلمين ركنت إلى الورع والغيرة على الوحي، من غير دراية ولا سعة أفق، ومن غير استيعاب لحقائق الوحي ومقاصد الرسالة، فظنت - خطأ- أن العلم الحديث شر كله وأنه طريق إلى الابتداع في الدين أو المروق منه بالمرة، لأنه مناقض كله لأحكام الوحي ومعانيه. ولهذا ناصبت هذه الطائفة العداء لكل من له عناية بهذه العلوم. وهناك طائفة أخرى من المسلمين ظنت خطأ أيضا أن النهضة العلمية والفكرية إنما تلتمس في الحضارة الغربية، لأنها قائمة على قوة العلوم المادية، وأن الوحي حجر عثرة وجملة معترضة أمام هذه النهضة، لأن معانيه معارضة لحقائق العلوم الحديثة مطلقا. ولهذا نفرت هذه الطائفة من كل فكر أو علم له صلة بالوحي، وناصبت العداء لكل من يدعو إلى التمسك بالوحي والعمل به. وبذلك حدث تمزق كبير وافتراق شديد بين المسلمين مازالت آثاره بادية حتى يومنا هذا، وأبرز مظاهره توهم ثنائيات متعارضة، مثل الأصالة والمعاصرة، والتجديد والمحافظة، والعلم والدين، ورجال الدين ورجال الفكر والسياسة، والتعليم العصري والتعليم الأصيل أو التقليدي... وكان هذا أصل الفصام الكبير والتمزق الشديد الذي يشهده العالم الإسلامي حتى اليوم، وسبب الصراع المرير بين دعاة الحداثة والتغريب، وبين دعاة التمسك بمقومات الأمة القائمة على الإسلام عقيدة وشريعة.

(8) - فسه.

وقد زاد الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية في رسوخ هذا الوضع واشتداد هذا الفصام وقــوة هــذا التمزق والافتراق. فمن نتائج الاستعمار الغربي للبلاد العربية والإسلامية، حدوث تحول خطــير في نظام التربية والتعليم في العالم الإسلامي. فقد عملت الإدارة الاستعمارية على ربط التعليم في العــالم الإسلامي بالمشروع الغربي من أجل تخريج نخبة من المثقفين من أهل البلاد الإسلامية ترتبط مكانتــها بالفكر الغربي، وتتولى إدارة بلدانها بعد خروج الجيوش الأجنبية وتصــفية الاســتعمار العســكري وترسيخ الاستعمار الاقتصادي. يقول سيرج لاتوش: ((مع تصفية الاســتعمار، غــادر المبشــرون المتأهبون للانطلاق من الغرب مقدمة المسرح، لكن الرجل الأبيض يبقــى في الكــواليس ويجــذب الخيوط. وهذا التأليه للغرب لم يعد تأليها لوجود واقعي لسلطة مذلة بوحشيتها وغطرستها، إنه يقوم على قوى رمزية، سيطرتها المعنوية أكثر خبثا، لكن أيضا أقل إثارة للاعتراض. وهذه العناصر الجديدة للسيطرة هي العلم والتقنية والاقتصاد، وعالم الخيال الذي تقوم عليه هذه العناصر: قيم التقــدم))[12]

وفي هذا المعنى ينقل لاتوش عن موريل C. MAUREL قوله: ((إن أروع ما حققه الاستعمار هــو مهزلة تصفية الاستعمار... لقد انتقل البيض إلى الكواليس، لكنــهم لا يزالــون مخرجــي العــرض المسرحي.))[13] ومن أهم آثار الاستعمار وأخطرها حال التعليم ومناهج التربية، فقد عمــل علــى إضعاف مكانة علوم الشريعة في التعليم لتحل محلها العلوم الحديثة القائمة على الفلسفة المادية، أو في أحسن الأحوال على نظرية الحقيقتين، أي وجود حقيقة دينية وحقيقة علمية، فكلاهمــا حقيقــة، لكنهما حقيقتان متناقضتان لا صلة للواحدة بالأخرى. وترتب على ذلك الفصل في التعليم بين علوم الوحي وبين علوم الكون والحياة. فوجد نوعان من التعليم: أحدهما سمي بــالتعليم الأصــيل، محلــه المعاهد القديمة مثل القرويين بالمغرب الأقصى والأزهر بمصر، وغايته تخريج طائفة لا صلة لها بقضــايا الحياة وهموم الناس، وإنما غايتها أن تؤم الناس في الصلوات وتفتيهم في العبادات والشعائر التي هــي بين العبد وربه. وقد عمل الاستعمار على تهميش هذه الطائفة وإضعاف مكانتها بين الناس، ووسمها بصفة التقليد والتخلف والتعلق بالماضي. وأما النوع الثاني من التعليم فســمي التعلــيم العصــري، وأحاطه المستعمر بهالة التقديس ورفع من مكانة خريجيه الذين كان يعــدهم ليتولــوا إدارة الــبلاد المستعمرة بعد ''تصفية الاستعمار''. وانحصر هذا التعليم في العلوم المادية والعلوم الإنسانية في معزل عن حقائق الوحي وقواعده، فحصل من ذلك أن المتخرجين من هذا التعليم من أبنــاء المســلمين لا صلة لهم بدين الأمة وقيمها، ولا معرفة لهم حتى بالمبادئ الأولى للشريعة. وكان نتيجــة ذلــك أن المتعلم من أبناء المسلمين، إما عارف بعلوم الشريعة – على ما حصل في مناهج هذه العلوم وطــرق تدريسها من ركود في العصور المتأخرة – ولا صلة له البتة بعلوم الكون والحياة، وإما متخصص في

---

12 - ((تغريب العالم)) ص 23 .(ترجمة : خليل كلفت. ط : 2 – 1999 – النجاح الجديدة).

13 - نفسه ص 5 – 6 .

علم من العلوم المادية أو الإنسانية، ولا صلة له مطلقا بعلوم الوحي والشريعة. فكـان كـل فريـق يزدري الفريق الآخر وينظر إليه نظرة العداء والاحتقار.

وزاد الأمر إدبارا وانحرافا لما عمد كثير من الباحثين و الدارسين إلى محاولة إثبات أن القول بحقيقـة علمية منفصلة عن الحقيقة الدينية هي الأصل المعتمد عند المسلمين عبر العصور، فذهبوا يلتمسـون نماذج من أعلام المسلمين دليلا على انفصال الحقيقة العلمية عن الوحي، فقالوا إن أبا الوليد بن رشد (ت 594) فيلسوف قرطبة وعالم الأندلس ممن قال بحقيقتين: فلسفية ودينية، مختلفتين وصـادقتين معا، ويزيدون في تأييد ذلك ببيان أن فكر ابن رشد كان له أثر في الفكر الغربي في عصر التنوير حتى وجد فيه تيار يسمى "الرشديين اللاتين" وان أسقف باريز أصدر قرارا في مارس 1277م بتحـريم ثلاث عشرة قضية من قضايا هذا التيار وهي كلها من أفكار ابن رشد، ومنها القـول بـالحقيقتين. وهذه بعض الأقوال في ذلك. يقول مراد وهبة:" إن ابن رشد يخضع الدين للعقل... وداعية لفصل الدين عن الدولة... ومؤسس للتنوير الغربي والعلمانية الغربية"[(1)] وقيل في ذلك أيضا :"إن ابن رشد هو أبعد فلاسفة العرب بعد المعري عن الإسلام" وقيل أيضا:" إن فلسفة ابن رشد عبارة عن مذهب مادي قاعدته العلم".[(2)] ومن النماذج المقدمة في ذلك أيضا العلامة ابن خلدون (ت 808) فقـد قيل عنه انه يفصل "فصلا منهجيا بين الميدانين (الديني والطبيعي). ولا جدال في أن هـذا الفصـل خطوة حاسمة نحو العقلانية في عالم يهيمن عليه الغيب"[(3)] وقيل أيضا:" إن ابن خلدون حقق خطوة هامة على مستوى تنظير التاريخ العربي بفصله المنهجي لعلم التاريخ عن العلوم الدينية فصلا علـى مستوى النظرية"[(4)]. فهذه الطائفة عمدت قسرا إلى علماء الإسلام الذين جمعوا بين علوم الشـريعة وعلوم الحياة والإنسان والفلسفة والتاريخ، فحملتهم القول بأن حقيقة الوحي منفصلة عن حقيقـة العلوم الكونية والإنسانية[14]. وقصد هذه الطائفة نسبة النموذج الوضعي العلماني في الفكر والتعلـيم والحياة إلى علماء الإسلام، وهي مرحلة تمهيدية لإحلال العلمانية الغربية والتنوير الغربي اللاديني محل الوحي والشريعة. فهذه الأفكار كان العمل بها ولايزال هو الغالب في التعلـيم العـالي في العـالم الإسلامي، وتتجلى مظاهره في الحياة العامة للمجتمعات الإسلامية.

و أدى هذا الوضع إلي انقسام المسلمين عامة إلي طائفتين لا يجمع بينهما إلا العداء، فكـل طائفـة تسفه الأخرى وتصفها بأوصاف التعنيف والتقبيح. أما الطائفة الأولى فهم علماء الإسلام والمشـايخ

---

(1) –" مدخل إلى التنوير" ص: 156-259.

(2) – انظر "الموقع الفكر لابن رشد" محمد عمارة، مجلة إسلامية المعرفة عدد 3

(3) – الخطاب التاريخي: دراسة لمنهجية ابن خلدون" علي أمليل، صّ: 41.(معهد الإنماء العربي).

(4) –نفسه ص: 45.

14 – إن مذهب ابن رشد في أن الحق واحد لا يتعدد ولا يتناقض واضح لمن تدبر فكره وجمع بين أطرافه وأجزائه، وإن مذهب ابن خلدون في النقد التاريخي والعمران البشري وإنه لا يناقض حقيقة الوحي والشريعة ظاهر لمن أمعن النظر في مقدمته. ينظر عن ابن رشد: ''الموقع الفكري لابن رشد بين الغرب والإسلام'' لمحمد عمارة، مجلة ''إسلامية المعرفة'' عدد 3 ص 79 - 111.

المقلدون الذين ينكرون كل جديد مستحدث وينقمون على كل من يتعلم العلوم الحديثة ويصمونه بالمروق عن الدين. وأما الطائفة الثانية فهم المتعلمون الجدد أبناء المدارس الحديثة الذين-إن عرفوا الإسلام- لم يعرفوا فيه إلا الشعائر والعبادات التي بين العبد وربه. فكلاهما توهم وجود التعارض بين القرآن والعلوم الحديثة، فنبذت الطائفة الأولى كل جديد وتوجست خيفة من العلوم المعاصرة وبالغت في الحذر من المناهج الحديثة، ونبذت الثانية الإسلام في شموله وعالميته، فكان التنازع والشقاق بين أهل الإسلام بسبب أمور متوهمة. يقول بديع الزمان النورسي رحمه الله عن هذا التنازع: ((إن طلاب العلوم الدينية يدينون المدرسين الجدد بضعف الإيمان بسبب مسائل خاصة بالمظهر الخارجي. أما المدرسون الجدد فيسمون طلاب العلوم الدينية بالجهل نظرا لأنهم غافلون عن الفنون والعلوم الحديثة، وإن هذا الاختلاف في الفكر والمنهج قد هز الأخلاقيات في المجتمع الإسلامي وخلف هؤلاء عن التقدم المدني))[9]. وأشار إلي فئات ثلاث وهي فئة علماء الدين، وفئة المتعلمين الذين لم يفهموا الغرب حق الفهم، وفئة أصحاب التكايا[10]. فكل فئة منغلقة على نفسها وتتهم الآخرين بالكفر وبالجهل [11].

وبسبب هذا التنازع بين أهل الإسلام تم حجب حقيقة الإسلام وهداية القرآن عن غير المسلمين، وتم حجب محاسن المدنية الحديثة عن المسلمين. يقول رحمه الله في ذلك وهو يذكر الموانع التي حجبت شمس الإسلام: ((أما المانع الثامن، وهو أهم الموانع والبلاء النازل، فهو توهمنا نحن والأجانب بخيال باطل وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم... نعم إن أعظم سبب سلب منا الراحة في الدنيا، وحرم الأجانب من سعادة الآخرة، وحجب شمس الإسلام وكسفها هو سوء الفهم وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم... هذا الفهم الخطأ هذا الفهم الباطل قد أجرى حكمه إلي الوقت الحاضر فألقى بشبهاته في النفوس وأوصد أبواب المدنية والمعرفة في وجه الأكراد وأمثالهم فذعروا من توهم المنافاة بين ظواهر من الدين لمسائل من العلوم))[12]. فهذا الداء قد شق صف المسلمين وركب في نفوسهم عداء المدنية الحديثة كلها، وركب في نفوس العقلاء من غير المسلمين-خاصة أصحاب الحضارة المادية- عداء المسلمين والإزراء بالقرآن بدعوى مناقضته للمدنية الحديثة.

---

(9) -((العثمانيون في التاريخ والحضارة)) لمحمد حرب ص 261.

(10) -جمع ((تكية)) وهي رباط الصوفية. انظر ((المعجم الوسيط)) 1 ص 86.

(11) -انظر ((سعيد النورسي: رجل القدر في حياة أمة)) لأورخان محمد علي ص 37.

(12) -((صيقل الإسلام)) ص 23-24

ولإزالة هذا الداء اجتهد رحمه الله لإصلاح نظام التعليم عند المسلمين لتسير فيــه العلــوم الماديــة والفلسفة الإنسانية في توافق وائتلاف مع القرآن الكريم والسنة النبوية. تقول مــاري ويلــد[13]:((يقسم بديع الزمان تاريخ الإنسانية إلي تيارين، أحدهما تيار النبوة والآخر تيار الفلســفة والعلــوم، ويربط كل التيارين بذات الإنسان ويصور نتائج كلا التيارين. فالنبوة التي تمثل الوحي الإلهي تخاطب قلب الإنسان أما الفلسفة فتخاطب عقله، والهدف هو اتفاق الاثنين، أي قيام الفلسفة باتباع الــدين واتباع النبوة وخدمتها، وكلما تم هذا ذاقت الإنسانية طعم السعادة وعاشت في انسجام وتنــاغم. وعندما يفترق أحدهما عن الآخر ينسحب الخير والنور إلي جانب النبوة، ويتراكم الشر والضــلالة- كما حدث في الغرب- في جانب الفلسفة))[14]. فبهذا يؤلف بين الدين وبين العلم والقرآن، فيكون علماء الحياة والكون وعلماء الشريعة بمنــزلة الوجهين للعملة الواحدة، لأن كل طائفة ترى الحاجة بها إلي الطائفة الأخرى، فتصلح الواحدة بالأخرى. يقول رحمه الله: ((إن الوسيلة الوحيدة لإصــلاح هذا إنما يمكن في وضع العلوم الدينية في المدارس المدنية، وتدرس العلوم العملية بدلا مــن الفلســفة اليونانية القديمة في المدارس الدينية، ووضع علماء متبحرين في التكايا من أجل تثقيف وتنوير طبقــة الدراويش المتصوفة))[15].فتدريس الدين في المدارس العلمية والتقنية الحديثة يعصم الطلبة من الشك والإلحاد، وتدريس العلوم الحديثة في مدارس الشريعة يعصم طلبتها من التعصب وضيق النظر، فيلتقي الفريقان على سبيل وسط. وقد بدأ النورسي بنفسه فاطلع على العلوم الحديثــة، وكانــت لــه في التدريس طريقة مختلفة عما كانت عليه في عامة المدارس الشرعية، فكان يجمع بين الــوحي وبــين حقائق الكون والحياة كما عرفها الإنسان من خلال وسائل البحث العلمي المتوفرة عبر العصور. وفي تأليفه لرسائل النور تجده يجمع بين حجة الوحي المقروء وحقيقة الحياة والكون المنظــور، فكانــت العلوم الحديثة تسير من وراء الوحي وتشهد لحقائقه وتؤيد أحكامه[16] . وعمل طول عمره على أن يسود هذا النظام في التعليم واجتهد وسعه لإنشاء "جامعة الزهراء" يتم فيها الجمع بين علوم الــدين وعلوم الدنيا، ويقرأ فيها الوحي المنــزل والكون المخلوق[17]. وقد بقيت هذه الفكرة تتجــدد في عقول غير واحد من رجال الفكر الإسلامي المعاصر، فنجدها عند الأستاذ مالك بــن بــني وعنــد

---

(13) – ((باحثة بريطانية متخصصة في الأدب التركي والفارسي. أسلمت عام 1981م بعدما قرأت الترجمة الإنجليزية لرسائل النور وسمت نفسها ((شكران واحدة)). تقيم الآن في تركيا ، ومن مؤلفاتها ((الاسلام والغرب ونحن))- ((مؤلف رسائل النور بديع الزمان)).

(14) – ((مؤلفات بديع الزمان كنموذج لتقديم الإسلام الى الغرب)) لماري ويلد. مؤتمر بديع الزمان النورسي –استانبول 1992 ص: 222-223.

(15) –((العثمانيون في التاريخ والحضارة)) ص 261.

(16) – انظر ((سعيد النورسي)) لأورخان محمد علي ص 25.

(17) –نفسه ص 25-26، ص 27، ص 52.

الأستاذ علي عزت بيغوفيتش وغيرهما إلي أن ظهرت معالمها في بعض المؤسسات في أيامنا هـــذه[18].
فقد عبر الأستاذ علي عزت بيغوفيتش عن هذه الحقيقة ب:"الوحدة ثنائية القطـــب"أي أن الإســـلام تأتلف فيه حقائق الوحي بحقائق الكون والحياة،. يقول في بيان ذلك –بعد أن أورد آيات من القرآن الكريم في وصف الكون والطبيعة- :" في هذه **الآيات** التي اتجهت بكليتها إلى الطبيعة نجد فيها تقبلا كاملا للعالم، ولا أثر فيها لأي نوع من الصراع مع الطبيعة. فالإسلام يبرز ما في المادة مـــن جمـــال ونبل كما هو الحال بالنسبة للجسم في موقف الصلاة، والممتلكات في الزكاة. إن العالم المادي ليس مستودعا للشيطان، وليس الجسم مستودعا للخطيئة. حتى عالم الآخرة، وهو غاية آمـــال الإنســـان وأعظمها، صوره القرآن مغموسا بألوان هذا العالم... الإسلام لا يرى العالم المـــادي مســـتغربا في إطاره الروحي...إن احتضان الدين للعلم اتجاه إسلامي، يمكن أن يرى في أحسن صوره في التحـــام المسجد بالمدرسة... هذا البناء المتميز هو المعادل المادي أو التقني لتلك المسلمة الإســـلامية لوحـــدة الدين والعلم..."[15] فهذه الحقيقة هي التي تنبه إليها بديع الزمان النورسي وتنبه إلى خطرها العظـــيم على كيان الأمة ووحدتها الفكرية.
ولا أحد يجادل أن الشقاق بين أهل الإسلام بسبب هذه المسألة مازال شديدا، فهناك تصنيف رائـــج في جميع بلدان الإسلام بين ((الإسلاميين)) و ((العلمانيين)) وهو قائم على أوهام كما سبق، وإنـــا لنرجو أن يفتح العلمانيون عقولهم لحقائق القرآن العامة والشاملة، وأن يتخلص علماء الشريعة مـــن التقليد وضيق الأفق وتحجير النظر، فيجدون أنفسهم جميعا يقودهم القرآن نحو الحياة الدنيا وعلومها، ونحو الآخرة ونعيمها، والتعليم والتربية هما سبيل ذلك كما قال سعيد النورسي، فدعوتـــه مـــاتزال قائمة، فما أشبه اليوم بالأمس.

2-الاستسلام لغرائز الإنسان وطبائع البشر وعدم تعهد النفس بالتربية الروحية الإيمانية:

فقد يغتر العالم بعلمه وصاحب الحق بحقه، فيزين له أنه قد استغنى عن التربيـــة وتهـــذيب الـــنفس وتعهدها بالرعاية والصيانة والتزكية ، ويزعم أن ذلك إنما هو على من دونه من عامة الناس وأهـــل الضلالة، فيفتح الباب لغرائز الميل إلي الشر وطبائع النفس لتعمل عملها، وهي مفضـــية لا محالـــة إلي العداوة والتنازع. ولهذا تتحرك غريزة حب الظهور والتفوق على سائر النـــاس، لأن أهـــل الـــدين وأصحاب العلم وأرباب الطرق الصوفية وظيفة كل منهم متوجهة إلي الجميع، وإن أجرتهم العاجلـــة غير متعينة، كما أن حظهم من المقام الاجتماعي-الذي يقوم على حظ الدنيا- وتوجه الناس إلـــيهم

(18) –مثل المعهد العالمي للفكر الاسلامي، والجامعة العالمية الإسلامية للعلوم
15 - "الإسلام بين الشرق والغرب " ص 308 –311 – 312 .

والرضى عنهم لم يتخصص أيضا. ((فهناك مرشحون كثيرون لمقام واحد، وقد تمتد أيد كثيرة جـــدا إلى أية أجرة – مادية كانت أو معنوية– ومن هنا تنشأ المزاحمة والمنافسة والحسد والغـــيرة، فيتبـــدل الوفاق نفاقا والاتفاق اختلافا وتفرقا))[19]. وينشأ عن ذلك الغرور والاستبداد بالرأي، ((وإذا مـــا كان ثمة غرور وأنانية في النفس يتوهم المرء نفسه محقا ومخالفيه على باطل فيقع الاختلاف والمنافســـة بدل الاتفاق والمحبة وعندها يفوته الإخلاص ويحبط عمله ويكون أثرا بعد عين))[20]

((ثم يبرز إلي الميدان الاستعجال فيزل قدم الهمة ويقلب على عقبيها بطفراتـــه خطـــوات ترتـــب الأسباب والمسببات، فتشوش مراحل العلل التي ووضعها الله سبحانه في سننه الكونية))[21]

أما دواء ذلك كله فهو التربية وتزكية النفس طول عمر المرء، وجماع كل هذا تربية النفس وحملـــها على الإخلاص فترتوي من قوله تعالى: (إنْ أَجْرِي إلا عَلَى اللَّهِ))– يونس 72–. وقوله عز و جل: ((وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ))– النور 54–، وقوله تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُـــوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ)) –النساء 135–. ومن دوائـــه صحبة السالكين ومعاشرة الصالحين[22]. يقول رحمه الله: ((إن الإخلاص واسطة الخلاص ووســـيلة النجاة من العذاب، فالعداء والعناد يزعزعان حياة المؤمن المعنوية فتتأذى سلامة عبوديته لله إذ يضـــيع الإخلاص، ذلك لأن المعاند الذي ينحاز إلي رأيه وجماعته يروم التفوق على خصمه حتى في أعمال البر التي يزاولها فلا يوفق توفيقا كاملا إلي عمل خالص لوجه الله، وهكذا يضيع أساسان مهمان لبناء البر– الإخلاص والعدالة– بالخصام والعداء))[23].

وأما إعماله لهذا الدواء في خاصة نفسه فيقول: ((فلئن كان قبول المقامات المعنوية يفيد الشـــخص والمقام فائدة واحدة، فإنه يلحق ألف ضرر وضرر بالناس عامة وبالحقـــائق نفســـها... إن حقيقـــة الإخلاص تمنعني من كل ما يمكن أن يكون وسيلة إلى كسب شهرة لبلوغ مراتب مادية ومعنوية... لذلك أرجح الاتصاف بالخدمة على نيل المقامات حتى أنني قلقت ودعوت الله الا يصيب شيء ذلك الشخص الذي أهانني بغير وجه قانوني... حيث أن المسألة انتشرت بين الناس فخشيت أن يمنحوني مقاما، فلربما يعدون حدوث شيء ما نتيجة كرامة خارقة. لذا قلت: يا رب أصلح شـــأن هـــذا أو جازه بما يستحق من دون أن يكون عقابا يومئ إلى كرامة معنوية))[24]

3–الإفراط في العزة وعلو الهمة، والغلو في الشعور بالقوة، وتوهم الاستغناء وعدم الحاجـــة إلي التأييد والمآزرة:

---

(19) – ((اللمعات)) ص 227

(20) – نفسه ص 228.

(21) –((صقيل الإسلام)) ص 433.

(22) – انظر : المصدر السابق – ((اللمعات)) ص 227، ص227، ص232-233.

(23) – ((المكتوبات)) ص 350.

(24) – ((سيرة ذاتي)) ص 372، وانظر ((صقيل الإسلام)) ص 332.

إن احتلاف أهل الحق والهداية قد يكون من سوء استعمال علو الهمة والإفراط فيه، وذلك أن المـــرء قد يحرص على ثواب الآخرة من أعماله، لكنه قد يتخذ وضعا منافسا لأخيه الذي هو في حاجة إلى محبته والأخذ بيده ((كأن يقول–مثلا– لأغنم أنا بهذا الثواب ولأرشد أنا هؤلاء الناس وليسمعوا مني وحدي الكلام، وأمثالها من طلب المزيد من الثواب لنفسه. أو يقول: لماذا يذهب تلاميذي إلى فلان وفلان؟ ولماذا لا يبلغ تلاميذي عدد تلاميذه وزيادة. فتجد روح الأنانية لديه– بهذا الحوار الداخلي– الفرصة سانحة لترفع رأسها وتبرز... فيفوته الإخلاص وينسد دونه بابه، بينما ينفتح باب الرياء لـــه على مصراعيه... فحصر النظر بأن يؤخذ الدرس والإرشاد مني فقط لأفوز بالثواب الأخروي هـــو حيلة النفس وخديعة الأنانية))[25]. وعدم اتفاق أهل الهداية قد يكون من عدم شعورهم بالحاجة إلي القوة بسبب توكلهم على الله عز وجل والاستسلام اليه، لكن ذلك قد يكون على غير وجهه عندما يفضي بالمرء إلى القعود عن تعاطي الأسباب، ومنها التزام جماعة المسلمين والتعاون معهم والاستزادة بهم من القوة المادية والمعنوية. ولهذا ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على أخذ جميع أنواع الأسباب والعدة، والتحذير من الركون إلى وعد الله بالنصر من غير أخذ الأسباب التي نيط بهـــا هذا النصر. من ذلك مثلا قوله تعالى :" وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَـــى التَّهْلُكَـــةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " (البقرة 195).

وهذه الآية جاءت بعد الأمر بالقتال في قوله عز وجل :" وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَـــاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(190)وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْـــثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيـــهِ فَـــإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ(191)فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(192)وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّـــهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" (البقرة 190-194) ففي هذه الآيات جملة أوامر للمسلمين بقتال المقاتلين لهم وقتل المعتدين وعدم التساهل في ذلك. ولما كان قتالهم هذا يحتاج إلى عدة واستعداد، ولما كان يخشى عليهم أن يقصروا في أخذ الأسباب الكاملة لذلك، اعتمادا على ما وقر في قلوبهم من تأييد الله لهم ووعدهم بالنصر المبين، جاءت هذه الآية لتأمرهم بالاستعداد وأخذ جميع أسباب القوة، وأول هذه الأسباب القوة المادية ، ولذلك أمرهم بالإنفاق، ونهاهم عن التهلكـــة وهـــي القعود عن أخذ أسباب القوة وإعداد العدة. يقول الطاهر بن عاشور:" فإنهم لما أمـــروا بقتـــال عدوهم، وكان العدو أوفر منهم عدة حرب، أيقظهم إلى الاستعداد بإنفاق الأموال في سبيل الله. فالمخاطبون بالأمر بالإنفاق جميع المسلمين لا خصوص المقاتلين. ووجه الحاجة إلى هذا الأمر – مع أن الاستعداد للحرب مركوز في الطباع – تنبيه المسلمين فإنهم قد يقصرون في الإتيان على

(25) –((اللمعات)) ص 230-231.

منتهى الاستعداد لعدو قوي، لأنهم قد ملئت قلوبهم إيمانا بالله وثقة به، وملئت أسماعهم بوعد الله إياهم النصر، وأخيرا بقوله " واعلموا أن الله مع المتقين " نبهوا على أن تعهد الله لهم بالتأييد والنصر لا يسقط عنهم أخذ العدة المعروفة، فلا يحسبوا أنهم غير مأمورين ببذل الوسع لوسائل النصر – التي هي أسباب ناط الله تعالى بها مسبباتها على حسب الحكمة التي اقتضاها النظام الذي سنه الله في الأسباب ومسبباتها، فتطلب المسببات دون أسبابها غلط وسوء أدب مع خالق الأسباب ومسبباتها ..." 16

فمن ركن إلى إيمانه بالله وثقته به وهو يحسب أن ورعه وإيمانه يغنيه عن اجتماعه بغيره وتعاونه معه وطلب نصرته ومؤازرته، فقد أساء فهم الشريعة وغفل عن مقتضى التدين الحق والورع الصحيح، وذهل عن حقيقة الحياة وسنن الاجتماع ونظام الكون وما أودع الله تعالى فيه من أسباب تفضي إلى مسبباتها وشروط تؤدي إلى نتائجها. ومن ذلك أن قوة الإسلام واشتهار الحق لا بد لهما من قوة المسلمين وقوة شوكتهم، وقوتهم لابد لها من تعاون وتآزر. فمن ترك التعاون وهو يظن أنه مستغنى بنفسه بسبب قوة إيمانه، فقد خالف الشريعة من حيث ظن موافقتها وناقض سنة الله عز وجل في خلقه. ولهذا أمر الله تعالى المؤمنين في آيات كثيرة من كتابه العزيز بالتعاون على البر والتقوى والعمل الجماعي الذي يكون فيه الفرد بمنزلة لبنة في بناء، والآيات والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة، وذلك لئلا يتوهم المؤمن أنه قد يستغني عن غيره من أهل الإسلام .

ومثل أهل الهداية وأهل الضلالة في هذا كمثل الأسود والوعول، فالأسود لفرط قوتها تعيش فرادى، ولا تشعر بالحاجة إلى الاتفاق والاجتماع، وأما الوعول والظباء فتعيش جماعات خوفا من الذئاب. ((إن الذين ينشدون الحق لا يرون وجه الحاجة إلى معونة الآخرين لما يحملون في قلوبهم من إيمان قوي يمدهم بسند عظيم يبعث فيهم التوكل والتسليم، حتى لو احتاجوا إلى الآخرين فلا يتشبثون بهم بقوة. أما الذين جعلوا الدنيا همهم، فلغفلتهم عن قوة استنادهم ومرتكزهم الحقيقي يجدون في أنفسهم الضعف والعجز في إنجاز أمور الدنيا فيشعرون بحاجة ملحة إلي من يمد لهم يد التعاون فيتفقون معهم اتفاقا جادا لا يخلوا من تضحية وفداء. وهكذا فلأن طلاب الحق لا يقدرون قوة الحق الكامنة في الاتفاق ولا يبالون بها ينساقون إلي نتيجة باطلة وخيمة تلك هي الاختلاف))(26). أما دواء هذا الداء فهو العلم بأن رضى الله لا ينال الا بالإخلاص وليس بكثرة الأتباع، فالتوفيق في العمل وتكثير الأتباع مما يتولاه الله عز و جل. والإخلاص في العمل إنما يتحقق بصدق الرغبة في إفادة المسلمين عامة أيا كان مصدر الاستفادة، من كل شخص صدر وعلى لسان كل فريق. ويوجه الأستاذ سعيد النورسي في هذا الشأن نداء إلى أهل الحق فيقول: ((فيا من يحرص على المزيد من

---

16 - "التحرير والتنوير" 12/2 . ط: الدار التونسية للنشر.

(26) – ((اللمعات)) ص 233-234.

الثواب ولا يقنع بما قام به من أعمال للآخرة، اعلم أن الله سبحانه قد بعث أنبياء كراما ومـا آمـن معهم إلا قليل، ومع ذلك نالوا ثواب النبوة العظيم كاملا غير منقوص. فليس السبق والفضل إذا في كثرة التابعين المؤمنين، وإنما في نيل شرف رضى الله سبحانه. فمن أنت أيها الحريص حتى ترغب أن يسمعك الناس كلهم، وتتغافل عن واجبك وتحاول أن تتدخل في تدبيره وتقديره... إعلم أن تصديق الناس كلاملك وقبولهم دعوتك وتجمعهم حولك إنما هو من فضل الله يؤتيه من يشاء، فـلا تشـغل نفسك فيما يخصه سبحانه من تقدير وتدبير، بل اجمع همك في القيام بما أنيط بك من واجب))[27]

-4-غياب ميزان العقل وعدم تقدير الأمر حق قدره.

فقد يكون العمل مطلوبا محمودا شرعا، غير أن الحاجة إلي غيره قد يكون أكبر وأعظم، وقد يعطـى المرء للعمل من المكانة أكثر مما هو عليه في نفس الأمر. فما أكثر من يصـرف الوقـت في الأوراد والأذكار والتأمل فينسحب من الميدان ويصبح وسيلة في توهين الاتفاق وسببا في إضعاف الجماعـة المسلمة. يقول رحمه الله: ((ذلك لأن المسائل التي تظنونها جزئية وبسيطة ربما هي على جانب عظيم من الأهمية في هذا الجهاد المعنوي. فكما أن مرابطة جندي في ثغر من الثغور الإسـلامية- ضـمن شرائط خاصة مهمة- لساعة من الوقت قد تكون بمثابة سنة من العبادة، فإن يومك الثمين هذا الذي تصرفه في مسألة جزئية من مسائل الجهاد المعنوي ولا سيما في هذا الوقت العصيب الذي غلب أهل الحق فيه على أمرهم، أقول إن يومك هذا ربما يأخذ حكم ساعة من مرابطة ذلك الجندي، أي يكون ثوابه عظيما، بل يكون يومك هذا كألف يوم))[28]. وأشار رحمه الله من ذلك إلي الوعاظ المبالغين في الترغيب والترهيب كجعل الغيبة كالقتل، وإظهار التبول وقوفا بدرجة الزنـا... قـال : ((إن الوعاظ الذين لا يملكون موازين ويطلقون الكلام جزافا قد سببوا حجب كثير من حقـائق الـدين النيرة))[29] . وقد غضب رحمه الله لذلك لما رأى أن هذا لا يقتصر ضرره علـى المسـلمين وإنمـا يتعداهم إلي إبعاد الشقة أكثر بين المتدينين والعلمانيين، وبين الإسلام وغير المسلمين فيقول: ((أيهـا الظالمون الذين يحاولون جرح الإسلام ونقده من بعيد من الخارج، زنوا الأمور بالمحاكمة العقليـة ولا تنخدعوا ولا تكتفوا بالنظر السطحي، فهؤلاء الذي أصبحوا سببا لأعذاركم الواهية في نقد الإسلام يسمون بلسان الشريعة- علماء السوء- فانظروا إلي ما وراء الحجاب الذي ولده عـدم موازنتـهم للأمور وتعلقهم الشديد بالظاهر، سترون أن كل حقيقة من حقائق الإسلام برهان نـير كـالنجم الساطع يتلألأ على تفش الأزل والأبد))[30] ومرة أخرى يتألم حسرة من هذا فيقول عن نفسـه: ((فإن هذا الفقير الغريب النورسي الذي يستحق أن يطلق عليه بدعة الزمان الا انه اشتهر دون رضـاه

---

(27) -نفسه ص 231.

(28) -نفسه ص 236.

(29) - ((صيقل الإسلام)) ص 46.

(30) -نفسه ص 48.

بديع الزمان، فهذا المسكين يستغيث ألما من حرقة فؤاده على تدني الأمـــة ويقـــول : آه...آه... وأسفي لقد انخدعنا فتركنا جوهر الإسلام ولبابه وحصرناه في قشره وظاهره))[31]. ودواء هذا الداء هو الاحتكام إلي ميزان العقل والشرع معا، الذي يزن الأعمال بحسب مقاصدها وحكمها وغايتها، وبحسب مآلاتها في كل زمن بحسبه.

-5-انعدام التنظيم وقلة الضبط في الأعمال:

وقريب من هذا الوصف ما كان عند المحدثين من التفريق بين الدين والأمانة والضـــبط والإتقـــان، فتجدهم لا يكتفون بالأول دون الثاني فيقولون مثلا: "فلان ثقة في دينه مغفل في حديثـــه"، وذلـــك بسبب عدم ضبطه لحديثه وقلة إتقانه لعلمه فيستحق الترك. فكذلك في هذا العصر تجد المرء قد بلـــغ الغاية في الورع والدين والأمانة، لكن فيما بينه وبين الناس وفي أمور المعاش والمعاملات لا يتحـــرى الإتقان والكمال، فإن أتقن عملا ضيع أعمالا، وإن أتى واجبا غفل عن واجبات مثله. وتجد الفرض الواحد من فروض الكفاية يتوارد عليه أكثر من واحد، وتجد فرضا آخر ربما أعظم منه لا يجد مـــن يتولاه. وسبب ذلك في نظر سعيد النورسي هو أن أهل الحق أمامهم جبهات كثيرة متنوعة وعلـــيهم واجبات كثيرة، منها ما هو لله تعالى ومنها ما هو للأقارب والأرحام والأبناء، ومنها ما هو للمجتمع وعامة الناس من جلب الصلاح والنفع لهم، ومنها صد كيد الأعداء ورد الشبه واتقـــاء الضـــربات الداخلية والخارجية، مع ما يجب على الفرد أولا في خاصة نفسه من التعلم والتربية الإيمانية وتهذيب النفس، فتجد المرء يحاول ذلك كله، وربما ظن أنه مستغن بنفسه، وهيهات أن يسد كل هذه الثغور. يقول رحمه الله ((إن اختلاف أهل الحق ليس ناشئا من فقدان الشهامة والرجولة ولا من انحطـــاط الهمة وانعدام الحمية... بل إن أهل الحق وجهوا نظرهم إلي ثواب الآخرة-على الأكثر- فتوزع مـــا لديهم من حمية وهمة وشهامة إلي تلك المسائل المهمة والكثيرة. ونظرا لكونهم لا يصـــرفون أكثـــر وقتهم الذي هو رأسمالهم الحقيقي إلي مسألة معينة واحدة فلا ينعقد اتفـــاقهم عقـــدا محكمـــا مـــع السالكين في نهج الحق، حيث إن المسائل كثيرة والميدان واسع. أما الدنيويون الغـــافلون فلكـــونهم يحصرون نظرهم حصرا في الحياة الدنيا- فهي أكبر همهم ومبلغ علمهم- تراهم يرتبطون معها بأوثق رباط وبكل ما لديهم من مشاعر وروح وقلب))[32]. ودواء ذلك هو الاجتماع والتعاون وتنظـــيم الأعمال، وصرف الجهد إلي ما هو أولى وما تشتد إليه الحاجة بحسب ظـــروف الحـــال والزمـــان والمكان. ولهذا- إعمالا لهذا الأصل- صرف سعيد النورسي جهده إلي حفظ الإيمان علـــى الأمـــة فانقطع إليه في مرحلة ((سعيد الجديد)) من حياته لما اعتزل السياسة، لأنه لا سياسة إذا ضاع الإيمان من النفوس، وأوصى طلبته بذلك. يحكي أحدهم عن أول لقاء له معه فيقـــول ((في أول زيـــارتي للأستاذ وأنا أحسبه شيخا من شيوخ الصوفية، بادرني بالقول قبل أن أتكلم بشيء: أخي أنا لســـت

(31) -نفسه ص 22.

(32) -((اللمعات)) ص 234-235.

شيخا، أنا إمام كالغزالي والإمام الرباني، فأنا مثلهم إمام، فعصرنا عصر حفــظ الإيمــان لا حفــظ الطريقة))[33] ولهذا كانت رسائل النور قد وجهت لحفظ الإيمان في النفوس وتجديده في قلوب أهل عصره، وإظهار حقائق القرآن، وقد استعان في ذلك بطلبته وتعاون مع كل من هو أهــل لــذلك. يقول رحمه الله: ((إن مهمة إيمانية جليلة بحيث تنور عالم الإسلام من جهة، وناشئة من أنوار دهــاء قدسي، لا تحمل هذه المهمة على كاهل شخص واحد ضعيف مغلوب ظاهر، يتربص به أعــداء لا يعدون وخصماء الداء يحاولون التنقيص من شأنه بالإهانات. فلو حملت وتزعزع ذلــك الشــخص العاجز تحت ضربات إهانة أعدائه الشديدة لسقط الحمل وتبعثر))[34]. وفي مسألة تعــدد الجبــهات ووفرة الواجبات يقول: ((والعلاج هو اتخاذ المرء أحد العلوم أساسا وأصلا وجعل سائر معلوماتــه حوضا تخزن فيه... فقد دخل أسلافنا جنان العلوم بالعمل على وفق تقســيم الأعمــال))[35]. وفي إشارته في مواضع كثيرة من رسائل النور وحثه على ضرورة ترتيب الجهات التي يتوجه إليها الجهــد والعمل بحسب درجاتها ونوع أثرها، يقول كولن تورنر: ((إن من أهم نقاط ضعفنا هــي أننــا... وجهنا اهتماما أكثر من اللازم إلى الأمور الفرعية الثانوية والى مسائل من الدرجة الثانية من الأهميــة بدلا من الأمور الأساسية. ورسائل النور أزالت عدم التوازن هذا فأعطت الأهميــة الأولى لحقــائق الإيمان، هذه الحقائق التي — إن توضحت- ظهرت بأن المسائل الفرعية الأخرى بأجمعها لا جــدوى منها ولا خطر لها)).[36]

6-فشو الاستبداد وغلبة التقليد والتعصب :

وهذا الداء يجعل المرء لا يراعي حق غيره في النظر والاجتهاد، فلا يلتفت إلي غيره ولا يهتــدي الا برأيه ولا يراعي من قد يخالفه، فلعله يكون أمكن منه في النظر والاجتهاد. ((فالرأي الشخصــي المستبد والتفكير الانفرادي... يبدد أعمال الإنسان رغم أنه مكلف بفطرته برعاية حقوقــه ضــمن رعايته لحقوق الآخرين))[37] يقول رحمه الله: "اعلم أن من ظلم البشر إعطاء ثمرات مساعي الجماعة لشخص وتوهم صدورها منه، فيتولد من هذا الظلم شرك خفــي، إذ صــدور محصــل كســب الجماعة... من شخص، لا يمكن إلا بتصور ذلك الشخص ذا قــدرة خارقــة ترقــت إلى درجــة الإيجاد..."[17] ومن ذلك التعصب للرجال الناشئ من فرط محبتهم والتعلق بهم بسبب ما هم عليــه من الدين والورع والصلاح، مع أن الدين والصلاح لا يغني في مجال العلم والمعرفــة عــن الإتقــان والضبط.

---

(33) –((سيرة ذاتية)) ص 524.

(34) – نفسه ص 370.

(35) –((صيقل الإسلام)) ص42-43.

(36) –((التجديد وبديع الزمان)) كولن تورنر. المؤتمر العالمي حول بديع الزمان النورسي –استامبول 1992 ص 211.

(37) –((صيقل الإسلام)) 433.

17 – مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان" ص 105 .

فقد يكون الرجل أورع أهل زمانه وفي الوقت نفسه لا يصلح أن يأخذ عنه علم مخصـــوص لكونـــه ليس من أهله، أو لا يصلح للعلم أصلا، فهو بمنـــزلة الثقة غير الضابط على اصطلاح المحدثين. ومنه أن التعصب للمذاهب الفقهية وعدم استحلال الخروج على المذهب، ومن خرج عنـــه أو اجتهـــد خارجه حمل عليه في علمه وربما في دينه. وقد سبق أن سعيد النورسي قد اشتكى كثيرا من علمـــاء عصره وساءه حالهم حتى سماهم ((علماء السوء)).

فهذه خلاصة أسباب الاختلاف والتنازع إلى عددها الأستاذ سعيد النورسي وذكرها في أكثر مـــن موضع من رسائله، فهي التي جعلت أهل الإسلام في عصره وما بعـــده إلى يومنـــا هـــذا طوائـــف وجماعات متنازعة تتراشق بالطعن والتجريح، فنجد الشيعة وأهل السنة، وتجد العلمانيين والفقهـــاء المقلدين والطرق الصوفية، وأهل الظاهر. ومازال الوضع على ذلك إلي يومنا هذا وإن كان قد زيـــد في بعض التسميات والمصطلحات والنعوت، أما الطوائف والتوجهات فهي نفسها. فنجد الصـــوفية والسلفية ونجد العلمانيين والاسلاميين، ونجد التنظيمات الإسلامية أو الحركات الإسلامية. ولـــيس سرا أفشيه إذا قلت إن النـــزاع بينها قد يصل أحيانا إلي درجة التكفير، وان كثيرا منها يدعي الحق بجانبه والصواب قاصر عليه ويتخذ غيره موضعا للسخرية وخطل الرأي، ومنها من ليس له من الجهد والعمل الا الرد على غيره وتسفيه رأيه، وقد يكون ذلك في بعض ما يقبل الخلاف والنظر ولا يمكن القطع فيه برأي، فتجد المسلم يحذر المسلم من المسلم، وما ذلك الا لأنه خالفه في الرأي والاجتهاد. وكفى بذلك دليلا على أن هذا الوضع ليس سليما قطعا. وإنما أوردنا ذلك بقصد الإصلاح وتجـــاوز هذا الوضع الذي أضعف قوة المسلمين وجعلهم لقمة سائغة لخصومهم الذين لا يكفون عن إثـــارة الإحن وبعث العداوة بين هذه التوجهات فيضربون بعضها ببعض. وهذا أمر واقع مشاهد وليس أمرا مظنونا أو متوهما.

وقد اجتهد الأستاذ سعيد النورسي رحمه الله طول عمره لمداواة هذا الداء فكان كلما ذكر علة مـــن العلل اتبعها بدوائها. فداء توهم التعارض بين القرآن والعلم، وبين الإسلام والتحديث جعل له دواء إصلاح التعليم والجمع بين علوم الوحي وعلوم الكون والحياة. وأما داء الاستسلام لطبـــائع الـــنفس البشرية فجعل له التربية وتعهد النفس بالتزكية وتجديد الإيمان. وجعل لداء توهم الاستغناء وعـــدم الحاجة إلي المآزرة وعدم تقدير الأمور حق قدرها-جعل له- الاحتكام إلي ميزان العقـــل المهتـــدي بالشرع الذي يأخذ في الاعتبار أحوال الزمان والمكان وحكم التصـــرفات ومقاصـــدها ومـــآلات الأعمال وآثارها القريبة والبعيدة. أما انعدام الضبط والتنظيم فجعل له ضرورة التخصص وتقســـيم الأعمال وترتيبها بحسب درجة الوجوب ودرجة الحاجة. فهذه الخطوات كلها يجب على كل مسلم القيام بها في خاصة نفسه، وتتأكد خاصة على أهل العلم وكل من يرجع إليه ويهتـــدى برأيـــه. و لم يكتف الأستاذ سعيد النورسي بهذا وإنما حرر قواعد شرعية وضوابط واقعية جعلها دستورا يتفق عليه

كل من انتسب إلى الإسلام، ولا ينكرها من أنصف ونظر بعين العقل وتجرد عن الهوى ونـــزعات النفس.

المبحث الثاني: الأسس النظرية للوحدة الفكرية:

وهي قواعد أنـزلها الله عز وجل في كتابه وذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم في سـنته ورسخها في جهاده لتبليغ رسالة ربه، فلا يسع أحدا من أهل الإسلام إلا التسليم بها وحفظها في صدره واستيعابها بعقله وقلبه. ومن حفظ هذه القواعد وعقلها عرف أن الروابط التي تجمع أهل الإسلام أعظم وأكبر من أن تنال منها الخلافات النظرية وأن تؤثر فيها نـزعات النفس البشرية. ومن هذه الأسس أيضا قواعد تشهد بصحتها العقول السليمة وترشد إليها حقائق الزمان وتقلبات الحياة الإنسانية كما تبدو للعقل على امتداد الزمان والمكان. فهذه الأسس يقرها الوحي المعصوم وتقبلها العقول السليمة. وان استحضارها والعمل بها لقمن أن يوحد بين عقول المسلمين ويقرب بين أفكارهم ويؤلف بين قلوبهم ويجمع جهدهم واجتهادهم على اختلاف أفكارهم وتنوع أنظارهم، وقمن أن يرسخ روابط الحوار والتعاون النافع المحمود بين المسلمين وغيرهم، خاصة مع عقلاء البشر وذوي الحكمة منهم الذين لا تخلو منهم أمة من أمم البشر. ويمكن تصنيف هذه الأسس إلي أسس شرعية وأسس عقلية، وإنما هو تصنيف منهجي لأن الأسس الشرعية يؤيدها العقل، والأسس العقلية حاضرة في الأسس الشرعية ومعللة بها.

1-الأسس الشرعية:

والمقصود بها ما ثبت على جهة القطع وتواردت عليه آيات الذكر الحكيم وشهدت به السنة القولية والعملية، من وجوب حفظ حرمة كل من صدق فيه وصف الإسلام في دمه وماله وعرضه، ووجوب حفظ أخوة الإسلام، والتعاون بين المسلمين ونبذ النـزاع والشقاق. وقد سمى الأستاذ سعيد النورسي هذه الآيات والأحاديث دساتير، للإشارة إلي أنها فوق الجميع وأنها أسمى وأعظم من أن تمتد إليها المراجعة أو التبديل، وأن أعمال جميع المسلمين يجب ألا تخرج عنها، فهي الضابط الأعلى والقانون الأسمى، فليس هناك حالة استثناء يحل فيها الخروج عليها.

وهذه الدساتير هي :

- قول الله تعالى : ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)). (الحجرات: 10)
- قوله عز وجل: ((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)). (الأنفال: 46)
- قوله تعالى: ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)). (المائدة : 2)

- قوله عز وجل : ((وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)). (البقرة :238)
- قول الله تبارك وتعالى : ((وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِي)) . (البقرة: 41)
- قوله عز وجل : ((فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ)). (يونس: 72)
- قول الله تعالى: ((وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)).(النور: 54)
- قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا))(38) .
- ولا يخفى على أحد أن الآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وكلها توجب التعاون وتمنع التنازع والشقاق. والخطاب في ذلك يشمل عامة المسلمين وفيهم أهل المعاصي وكل من لا يصح تجريده من وصف الإسلام. فوجود الفساق وأهل المعاصي لا يحل بحلال أن يكون سببا للشقاق والتنازع، وكذلك وجود الاختلاف في النظر والاجتهاد. وقد عقد سعيد النورسي مبحثا في المكتوب الثاني والعشرين من المكتوبات لهذه المسألة وصدره بهذه الدساتير القرآنية فقال: ((المبحث الثاني يدعو أهل الإيمان إلى الأخوة والمحبة... بسم الله الرحمن الرحيم ((إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم)) الحجرات –10-))(39). ويلاحظ أن هذه الآيات والأحاديث التي جعلها النورسي دساتير لا تخرج عن مسألتين اثنتين، هما وجوب الوحدة والتعاون ووجوب حفظ الإخلاص وصيانته. وما ذلك إلا لأن عمل العقل وعمل النفس لا يستغني بأحدهما عن الآخر، لأن العقل قد يقر بوجوب التعاون لكن عمل النفس قد يشوش على ذلك. وتربية النفس على الإخلاص هي العاصم من ذلك، يقول رحمه الله: ((فلا مناص لنا الا بذل كل ما في وسعنا من جهد وطاقة كي نظفر بالإخلاص فنحن مضطرون إليه... إذ لو لم نفز به لضاع منا بعض ما كسبناه من الخدمة المقدسة... حيث نكون ممن يشملهم النهي الإلهي وتهديده الشديد في قوله تعالى: ((ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا)) بما أخللنا بالإخلاص فأفسدنا السعادة الأبدية لأجل مطامع دنيوية... إرضاء لمنافع جزئية تافهة أمثال الإعجاب بالنفس والرياء، ونكون أيضا من المتجاوزين حقوق إخواننا في هذه الخدمة...))(40) فإذا تمخض الإخلاص أثمرت دساتير الوحدة والتعاون، فينتبه العقل إليها كما قال الأستاذ النورسي: ((فلأن طلاب الحق لا يقدرون قوة الحق الكامنة في الاتفاق ولا يبالون بها ينساقون إلي نتيجة باطلة وخيمة هي الاختلاف... وطريق النجاة من هذا الواقع الباطل الأليم والتخلص من هذا المرض الفتاك – مرض الاختلاف الذي ألم بأهل الحق – هو اتخاذ النهي الإلهي في الآية الكريمة((لا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)) –الأنفال: 46- واتخاذ الأمر الرباني في الآية الكريمة ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى))- المائدة 2- دستورين للعمل في الحياة الاجتماعية))(41).

(38) – صحيح البخاري ، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره.
(39) –"المكتوبات " ص 339.
(40) –((اللمعات)) ص 241 .وانظر منه أيضا ص 227.
(41) –((اللمعات)) ص 234.

ويوجه النداء إلي أهل الإيمان: ((أيها المؤمنون إن كنتم تريدون حقا الحياة العزيزة وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم وعودوا إلى رشدكم وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة ((إنما المؤمنون إخوة)) –الحجرات 10- وحصنوا أنفسكم بها من أيدي أولئك الظلمة الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية... فيا معشر أهل الإيمان إن قوتكم تذهب أدراج الرياح من جراء أغراضكم الشخصية وأنانيتكم وتحزبكم، فقوة قليلة جدا تتمكن من أن تذيقكم الذل والهلاك. فإن كنتم حقا مرتبطين بملة الإسلام فاستهدوا بالدستور النبوي العظيم ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)) وعندها فقط تسلمون من ذل الدنيا وتنجحون من شقاء الآخرة))[42] .

ولاشك أن استحضار هذه الدساتير يوقظ عقول أهل الإسلام للاجتماع والتآزر ولو اختلفت اجتهاداتهم وأنظارهم. ومن عرف هذه الدساتير من المسلمين فلم يسع لمآزرة أهل الإسلام جميعا- ولو كانوا يخالفونه في بعض الاجتهادات- فإما أنه قد ذهب عقله أو أن شهوات النفس حجبت نور عقله، فلينظر أي الوصفين يصدق عليه.

- 2-الأسس العقلية:

وهي حقائق كونية واقعية يدل عليها تعاقب الزمان واستقراء أحوال البشر عبر الزمان والمكان وهي:

1-إن الاجتماع والتعاون في هذا العصر ضرورة حياة للمسلمين، فهم في غاية القلة والضعف والفقر، وأعداؤهم على قوة ومنعة، ويحيطون بهم من كل جانب يسومونهم سوء العذاب ويلقون بالشبهات لصرف قلوب أبنائهم عن الإسلام[43] . فهل يستجيز العاقل منهم أن يصرف جهده لتتبع عثرات إخوانه ويجتهد لحمل الناس على التزام المندوبات والمستحبات أو حتى بعض الواجبات المختلف فيها بين المجتهدين، أو يعلن الحرب على المسلمين لأنهم مبتدعة والعدو يعلن الحرب على الجميع؟ فبداهة العقل تفرض الاجتماع والتعاون وإلا – كما يقول سعيد النورسي – ((تعجزون عن الدفاع عن حقوقهم بل حتى عن الحفاظ على حياتكم إذ لا يخفى أن طفلا صغيرا يستطيع أن يضرب بطلين يتصارعان، وأن حصاة صغيرة تلعب دورا في رفع كفة ميزان وخفض الأخرى ولو كان فيهما جبلان متوازنان...))[44]. ((إن هذا الزمان زمن الجماعة، فلو بلغ دهاء الأشخاص فردا فردا حد الخوارق فلربما يغلب تجاه الدهاء الناشئ من شخص الجماعة المعنوي... إن مهمة إيمانية جليلة... لا تحمل هذه المهمة على كاهل شخص واحد ضعيف مغلوب ظاهرا، يتربص به أعداء لا يعدون وخصماء الداء يحاولون التنقيص من شأنه بالإهانات. فلو حملت وتزعزع ذلك الشخص العاجز تحت ضربات وإهانة أعدائه الشديدة لسقط الحمل وتبعثر))[45] . فبداهة العقل

---

(42) –((المكتوبات)) ص: 250

(43) –انظر ((اللمعات)) ص 241.

(44) – ((المكتوبات)) ص 350.

(45) –((سيرة ذاتية)) ص 370.

تقضي أن الاجتماع والتعاون خير وقوة ومصلحة، وأن الاختلاف والشقاق ضعف وعجز، وان المسلمين ((بحاجة ماسة بل مضطرون إلي الاتحاد والتساند التام والى الفوز بسر الإخلاص الذي يهيئ قوة معنوية بمقدار ألف ومائة وأحد عشر 1111- ناتجة من أربعة أفراد... هناك شواهد ووقائع تاريخية كثيرة جدا أثبتت أن ستة عشر شخصا من المتآخين المتحدين المضحين بسر الإخلاص التام تزيد قوتهم المعنوية وقيمتهم على أربعة آلاف شخص...))[46]. ويزيد الأستاذ سعيد النورسي هذه الحقيقة بيانا بالوقائع والشواهد والأمثلة من واقع الناس وحياة البشر. ((فأرباب الدنيا قد اتخذوا الاشتراك في الأموال والتعاون في المنافع والمصالح العاجلة رائدا لهم فكسبوا قوة هائلة وانتفعوا منها نفعا عظيما، ذلك لأن ماهية الاشتراك لا تتغير المساوئ والأضرار التي فيها، لأن كل شخص وفق هذه القاعدة يحسب بمثاله المالك لجميع الأموال وذلك من زاوية مشاركته في المال من جهة مراقبته وإشرافه عليه، برغم أنه لا يمكنه أن ينتفع من جميع الأموال. وعلى كل حال فإن هذه القاعدة إذا دخلت في الأعمال الأخروية فستكون محورا لمنافع جليلة بلا مساوئ ولا ضرر))[47]. ويستطرد رحمه الله في ضرب الأمثلة الحسية والواقعية التي لا يمكن للعاقل الا التسليم بها وبما سيقت من أجله، منها قوله: ((اشترك خمسة أشخاص في إشعال مصباح زيتي، فوقع على أحدهم إحضار النفط وعلى الآخر الفتيلة وعلى الثالث زجاجة المصباح... فعندما أشعلوا المصباح أصبح كل منهم مالكا لمصباح كامل... وهكذا الأمر في الاشتراك في الأمور الأخروية بسر الإخلاص...))[48] ((إن هذا الزمان –لأهل الحقيقة- زمان الجماعة، وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية. فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير))[49].

2-إن قيم الرحمة الإنسانية والرفق التي زكاها الإسلام تحمل المسلمين على مد جسور الحوار والتعاون مع عامة البشر خاصة أهل الحكمة والأبرياء. ولقد استخلصت هذه القاعدة من وقفة للأستاذ سعيد النورسي يتأمل فيها حال البشر وتقلبات الزمان وصروف الدهر وخطوبه. فقد استوقف عقله حال الأبرياء من الكفار الذين لا ناقة لهم ولا جمل فيما يقترف الظالمون، وما مصيرهم في ما يصيبهم من البلايا والمصائب؟ ووقفته هذه قد لا يوافق البعض أو الكثير منا على ما قاله فيها، غير أنه مهما كان الأمر فإنها صالحة لما سقناها من أجله. يقول رحمه الله: ((لقد مس مسا شديدا مشاعري وأحاسيسي المفرطة في الرأفة والعطف ما أصاب الضعفاء المساكين من نكبات وويلات ومجاعات ومهالك من جراء هذه الطامة البشرية التي نزلت بهم... ولكن على حين غرة نبهت إلى أن هذه المصائب وأمثالها ينطوي تحتها نوع من الرحمة والمجازاة–حتى على الكافر- بحيث

---

(46) –((اللمعات)) ص: 243.

(47) – ((نفسه ص 248.

(48) –نفسه ص 248-249.

(49) –((سيرة ذاتية)) ص 313.

يهون تلك المصيبة، فتظل هينة بسيطة بالنسبة إليهم، وأصبح هذا التنبيه مرهما شافيا لإشفاقي المــؤلم على الأطفال والعوائل في أوربا وروسيا.. نعم إن الذين نــزلت بهم هذه الكارثة العظمــى-الــتي ارتكبها الظالمون- إن كانوا صغارا وإلى الخامسة عشرة من العمر فهم في حكم الشهداء من أي دين كانوا، فالجزاء المعنوي العظيم الذي ينتظرهم يهون عليهم تلك المصيبة. أما الذين تجاوزوا الخامســة عشرة من العمر فإن كانوا أبرياء مظلومين فلهم جزاء عظيم ربما ينجــيهم، لأن الــدين-ولاســيما الإسلام- يستر بستر الا مبالاة في آخر الزمان... وقد بلغني من الحقيقة أن تلك النكبات والويلات كفارة بحقهم من الذنوب المتأتية في سفاهات المدنية وكفرانها بهذه النعم ومن ضــلالات الفلســفة، وبهذا وجدت السلوان والعزاء من ذلك الألم النابع من العطف المتزايد فشكرت الله شكرا لا نهايــة له))[50]. فإذا كان هذا هو ما استقر عليه من حال هؤلاء في الآخرة، فبالأولى أن يســتقر علــى مآزرتهم والتعاون معهم في القيم الإنسانية، ومنهم ذوو الرأي والحكمة والعقل.[51]

3-إن الإيمان بالله تعالى الذي هو أصل الحقائق وأم الحقيقة يحمل المسلمين على التعاون مــع مــن يشارك في هذه الحقيقة أو يقترب منها. ولهذا فإن الأستاذ سعيد النورسي يدعو إلي إقامة العلاقــات بين المسلمين وغيرهم على القيم الإنسانية المشتركة، والإيمان بالله على رأس هذه القــيم المشــتركة. فعلى هذا الأساس يمكن للمسلمين أن يتعاونوا مع أهل الكتاب لصد خطر الإلحاد وما ينتج عنه من التحلل من الأخلاق والقيم. فأهل الكتاب أقرب إلي المسلمين من أهل الإلحاد، ورأيهم واحد في هذا العدو فما الذي يمنع من اجتماعهما على هذا الأصل، وخاصة مع النصارى لأنه قد ورد في الحديث أن الدين الحقيقي لسيدنا عيسى عليه السلام سيحكم – في آخر الزمان- ويتكاثف مــع الإســلام. فيمكن القول بلا شك أن ما يكابده المظلومون النصارى المنتسبين إلي سيدنا عيسى عليــه الســلام والذين يعيشون الآن في ظلمات –الفترة – وما يقاسونه من الويلات تكون بحقهــم نوعــا مــن الشهادة، ولاسيما الكهول وأهل النوائب والفقراء والضعفاء والمساكين الذين يقاســون النكبــات والويلات تحت قهر المستبدين والطغاة الظالمين.))[52] يقول في هذا المعنى أيضــا :" لقــد ثبــت في الحديث الصحيح أن المتدينين الحقيقيين من النصارى سيقفون في آخر الزمان مســتندين إلى أهــل القرآن للوقوف معا تجاه عدوهم المشترك : الزندقة . لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زماننا هذا ليســوا بحاجة إلى الاتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضا إلى الاتفاق حتى مــع الروحــانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات ، دفعــا لعــدوهم المشترك الملحد المتعدي. "[18]

---

(50) –((سيرة ذاتية)) ص 312.

(51) –نفسه 313.

(52) –((سيرة ذاتية)) ص 312.

18 مرشد أهل القرآن ص 61.

فهذه هي نظرة الأستاذ سعيد النورسي إلي علاقة المسلمين بغيرهم، فهي تقوم على تصنيف غير المسلمين على مراتب بحسب القرب، والمعيار هو الإقرار بالدين والتدين أو إنكاره أصلا، والقيم المشتركة: مثل حماية المستضعفين ومعاونة المحتاجين وكف الأذى عن المظلومين. ومن الأصول الشرعية المؤيدة لهذا قوله تعالى: ((الم(1)غُلِبَتْ الرُّومُ(2)فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(3)فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ(4)بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)) –الروم 1-2-. فسمي نصر الروم نصر الله وأقر المسلمين على فرحهم به، وما ذلك الا لقرب الروم إلي المسلمين من الفرس لأنهم نصارى أهل كتاب والفرس أهل الحاد.
ومنه قوله تعالى: ((قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)) –آل عمران 64- وقوله تعالى: ((وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ))- العنكبوت:46 -. وقوله عز وجل : ((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى))- المائدة:82- ومنه أيضا حضور الرسول صلى الله عليه وسلم حلف الفضول في دار عبد الله بن جذعان وقوله:" شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلَامٌ فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ قَالَ الزُّهْرِيُّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُصِبِ الْإِسْلَامُ حِلْفًا إِلَّا زَادَهُ شِدَّةً ..."[(53)]. وذلك لأن فيه تعاونا على حماية المظلومين. يقول صفاء مرسل وهو يحكي آراء الأستاذ النورسي:((فالأمم المنتسبة إلي الدين المسيحي والأمم المنتسبة إلي الدين الإسلامي يجب أن يتعاونا ضد الإلحاد وما ينتج عنه من التردي الأخلاقي والسياسي، ويعد هذا حجر الزاوية في آراء بديع الزمان . فبديع الزمان يقسم العلاقات بين النظم المختلفة والتكتلات السياسية المختلفة إلي قسمين: أحدهما العلاقات الموجودة بين أمم الجامعة الإسلامية نفسها، والآخر هو العلاقات الموجود بين العالم الإسلامي وبين الأمم المنتسبة إلي عقائد أخرى وأفكار أخرى. ويقسم بديع الزمان العلاقات مع الأوساط غير الإسلامية إلي قسمين، ويأخذ أيضا الدين كقسطاس في هذا القسم. فقد ميز بين الأمم المنتسبة إلي أحد الأديان والتي تحترم العقائد من أهل الكتاب، وبين الأمم التي لا تؤمن بأي دين وتعادي الفكرة الدينية))[(54)].
وعلى هذا الأساس أيضا يأتي تقويم الأستاذ سعيد النورسي للفكر الغربي الأوربي، فهو لا يصفه بالخطأ والضعف والاضطراب بإطلاق وإنما يصنفه ويرتبه بحسب القرب من الإسلام ومن القيم الإنسانية التي هي من مقاصد الإسلام فيقول: ((ولئلا يساء الفهم، إن الغرب –أوربا– اثنان

(53) – مسند أحمد ، من حديث عبد الرحمن بن عوف في مسند العشرة المبشرين بالجنة.
(54) –((سلوك بديع الزمان النورسي في العلاقات بين النظم والكتل السياسية)) لصفاء مرسل. المؤتمر العالمي حول بديع الزمان النورسي. استامبول 1992. ص:278-579.

وخطابي في هذه المحاورة ليس موجها إلي ذلك الغرب النافع للبشرية بما استفاده من النصرانية والحضارة الإسلامية فانتفعت الحياة الاجتماعية البشرية بصناعته وعلومه، وإنما أخاطب الغرب الثاني وذلك الغرب الذي تعفن فسد بظلمات الفلسفة الطبيعية المادية))(55). فروابط الإيمان بالله وإقرار الدين والتدين والعمل من أجل القيم الإنسانية تكفي لتعاون المسلمين مع غير المسلمين في ما يشترك فيه الفريقان.

فهذه هي الأسس والقواعد النظرية التي حررها بديع الزمان النورسي لبناء الوحدة الفكرية بين أهل الإسلام. فالأسس الشرعية من الكتاب والسنة توجب عليهم التعاون والتآزر، ونوائب هذا الزمان وحالهم في هذا العصر تحملهم بالقوة-إن أرادوا أداء الأمانة التي حملوها- على نبذ أسباب الخلاف والشقاق وتوجيه الجهود إلي القضايا الكبرى للمسلمين في العصر الحاضر، وبداهة العقول تدفعهم إلى ذلك دفعا. أما فيما بين المسلمين وغيرهم من النحل فإن روابط الإقرار بدين سماوي ونبذ الإلحاد، والإيمان بالقيم الخلقية والإنسانية الموجودة في أمم كثيرة تحمل على مد جسور الحوار والتعاون معها.

المبحث الثالث:-الأسس العملية للوحدة الفكرية:

لقد سبق أن الأسس النظرية هي قواعد شرعية وعقلية تبين مكانة التآزر وفائدة التعاون وما ينشأ عن الاختلاف والتدابر من العجز والضعف. فإذا استوعب أهل الإسلام هذه القواعد فقد خلصت نياهم لنبذ الخلاف وتأهبت قلوبهم وعقولهم للتعاون والتآزر، فيتم بذلك الاستعداد النفسي. لكن مع ذلك فإن تدافع الأفكار واختلاف الإفهام لن يتوقف، فكيف السبيل إلي ضبط هذا الخلاف؟ ثم إن هذه الأسس النظرية لا يمكن أن يقف عندها جميع أهل الإسلام بلا استثناء وإنما سيوجد –ولابد- من يخرج عنها المرة بعد المرة إما بقصد أو بغير قصد، فكيف العمل مع أمثال هذا؟
تأتي الأسس العملية كما وضعها الأستاذ سعيد النورسي لضبط ذلك ولتبين منهج التعامل مع المخالف في الرأي والنظر، ولتمنع من نشوء الفوضى بسبب اختلاف النظر والاجتهاد، ولتبين منهج التعامل مع من يخالف أسس الوحدة الفكرية ويخرقها. ويمكن جمع هذه الأسس العملية في المسائل الآتية:

1-جعل الاختلاف في النظر والاجتهاد سببا لإظهار الحق وازدهار المعرفة وثراء الفكر الإسلامي.
ذلك أن جمع المجتهدين على رأي واحد فيما ليس موضعا للقطع لن يتأتى أبدا، ولا يظن ذلك إلا من

(55) –((الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا)) لحمد نوري النعيمي. ص: 88 (دار البشير 1992).

جهل خصائص الشريعة وموارد أدلتها، وجهل حقيقة الحياة وطبائع البشر. وإنما الواجب على أهل الحق أن يجعلوا اختلافهم اختلافا محمودا وهو الذي سماه سعيد النورسي الاختلاف الإيجابي البناء المثبت، وذلك بأن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته، لكن دون أن يسعى إلي هدم مسالك المخالفين له ولا الطعن في نظرهم، لأنهم وإن خالفوه في النظر والاجتهاد فلعلهم نظروا إلي ما لم ينظر إليه ونظر هو إلي ما لم ينظروا إليه. فليكن إذا غرض كل واحد هو إكمال النقص. ثم إن الفريقين وإن اختلفا هنا فإن ما يجمع بينهما أكبر من ذلك، وهما قبل ذلك وبعده متفقان على الأسس والغايات المقطوع بها. يقول سعيد النورسي : ((إن تصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلي الحقيقة إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الاتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح. ولكن إن كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء واشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الأفكار))[56]

فالواجب إذا هو الحرص على الاتفاق ما أمكن، فإن تعذر ذلك بسبب اختلاف النظر والاجتهاد، فليعرض كل رأيه وما أدى إليه اجتهاده بعد أن تحرى الصواب وزكى نفسه من النوازع والشهوات، ولكن ليس له أن ينال من اجتهاد المخالف له بالتنقيص أو الطعن والتجريح، وإنما يبقي الاحتمال قائما لخطأ رأيه وصواب رأي غيره. يقول الأستاذ سعيد النورسي: ((عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول: مسلكي حق أو هو أفضل، ولكن لا يجوز لك أن تقول: إن الحق هو مسلكي أنا فحسب، لأن نظرك الساخط وفكرك الكليل لن يكون محكا ولا حكما يقضي على بطلان المسالك الأخرى، وقديما قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة *** ولكن عين السخط تبدي المساويا))[57]

فتجريح المخالف بسبب المخالفة في الاجتهاد حرام، فقد يكون غيبة وقد يكون بهتانا. وقد عمل النورسي رحمه الله بهذا المنهج، فقد كان كثير من علماء عصره يخالفونه في كثير من القضايا، لكنه ما نطق بتجريح ولا تنقيص لواحد منهم. من ذلك مثلا عدم موافقته لبعضهم في ما ذهبوا إليه من أن السير في بعض أمور الحياة على النمط الغربي لا حرج فيه ولو كان مخالفة صريحة للشرع وذلك تمسكا بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات. لكنه ما نطق بتجريح ولا تنقيص، ولما تمت محاجته في ذلك أجاب جواب العالم الورع فأورد أدلته على خطأ هذا المذهب بأدب من غير تعنيف ولا تحقير ولا تهييج للمخالف. قال وهو يحكي ذلك: ((أرسل إلي قائد عام عددا من الضباط وحتى بعض العلماء الأئمة من اجل أن يعيدوني شيئا إلي الأمور الدنيوية، فقالوا نحن الآن مضطرون أي أننا

---

(56) –((المكتوبات)) ص 347.

(57) –نفسه ص 242-243.

مضطرون في تقليد بعض الأصول الأوربية وموجبات المدنية حسب القاعدة المعروفة-أن الضرورات تبيح المحضورات-، قلت لهم: إنكم منخدعون تماما، لأن الضرورة النابعة من سوء الاختيار لا تبيح المحظورات فلا يجعل الحرام بمثابة الحلال... فمثلا إذا سكر شخص بسوء اختياره بشربه الحرام ثم اقترف جريمة وهو سكران فإن الحكم يجري عليه ولا يكون بريئا بل يعاقب... وهكذا قلت للقواد والأئمة أي الأمور تعد ضرورية مما سوى الأكل والعيش، فالأعمال النابعة من سوء الاختيار والميول غير المشروعة لا تكون عذرا كجعل الحرام حلال... وحتى القانون الإنساني قد أخذ هذه الأمور بنظر الاعتبار وميز بين الضرورة القاطعة غير الداخلة ضمن إطار الاختيار والأحكام الناشئة من سوء الاختيار. الا أن القانون الإلهي قد فرق بينهما بشكل أساسي وثابت راسخ ومحكم))[58]. فأقام الحجة لمذهبه على مذهب غيره بأدلة علمية من غير تعرض لشخص المخالف ولا لحاله ولا وصفه بالنعوت المجرحة المثيرة لهوى النفوس وما جبلت عليها من الأنفة وحب الظهور. وزاد على ذلك فأوصى طلبته بذلك فقال: ((إخواني لا تهاجموا بعض العلماء الذين ظنوا بعض الجاءات العصر ضرورة وركنوا إلى البدع. لا تصادموا هؤلاء المساكين الذين ظنوا الأمر ضرورة بدون علم وعملوا وفقها. ولهذا فنحن لا نستعمل قوتنا في الداخل، فلا تتحرشوا بهم وإن كان المعارضون لنا من العلماء الأئمة))[59]

2-العبرة بالأفكار وليس بالأشخاص:

أي أن الميزان الذي به توزن الأقوال ويعرف الصواب من غيره ليس هو شخص القائل، فنزن الحق والعلم بالرجال فتكون الرجال حجة على الحق، فنقول الحق كذا وكذا لأن فلانا قاله، أو ما دام هذا المذهب مذهب فلان فهو خطأ. فالنظر يكون إلي الأفكار في ذاتها من غير أن يؤثر شخص القائل في التقويم من جهة الصحة والخطأ. ولقد كان سعيد النورسي يحث طلبته على ضرورة النظر إلي ما أودعه من أفكار في (رسائل النور) وألا يلتفتوا إلى شخصه. ولما كان طلبته يعدون إخراج كتاب (تاريخ حياة الأستاذ) صمم أحدهم غلاف الكتاب وجعل فيه صورة الأستاذ سعيد النورسي وهو يضع حجر الأساس لجامع توغاي في إسبارطة فلما عرض الغلاف على الأستاذ غضب وقال: ((ما هذه الصورة؟ أنتم تهتمون بشخصيتي أكثر مما أستحق ، فأنا أعد الاهتمام والاحترام لشخصي إهانة لي، إنكم بذلك تتعلقون بي وليس برسائل النور-المرتبطة بالقرآن- فأنا لا أحب نفسي... إنني لا شيء أنا عدم فلا تنتظروا مني شيئا من الخوارق. وبعد ذلك مزق الصورة المرسومة على الغلاف ورماها في سلة المهملات))[60]. وكان كثيرا ما يأمر بالتثبت فيما يلقيه على طلبته، وعرض ما يأخذون من أفكاره على ضوابط البحث العلمي وسبره بميزان منهج المعرفة الإسلامية القائم على

---

(58) -((سيرة ذاتية)) ص 470-471.

(59) -نفسه ص 471.

(60) -سيرة ذاتية)) ص: 539.

قبول الحق حيث ما كان ورد الباطل على صاحبه مهما كان مقامه في العلم والفكر، ومهما علا قدره في الدين والأمانة. يقول في ذلك رحمه الله :" فلا تأخذوا شيئا إلا بعد إمراره على المحك ، لأن أقوالا مغشوشة مزيفة قد كثرت في تجارة الأفكار. حتى كلامي أنا لا تأخذوه على علاته- بحسن ظنكم- منه انه صادر مني، فقد أكون مفسدا أو أفسد من حيث لا أشعر- فعلى هـــذا تيقظوا، ولا تفتحوا القلب لكل طارق. فليظل ما أقوله لكم في يد خيالكم، واعرضـــوه علــى المحك، فإن ظهر أنه ذهب فأرسلوه إلى القلب واحفظوه هناك، وإن ظهر أنه نحاس فـــاحملوه على عاتق ذلك الكلام المنحوس كثيرا ، من الغيبة وشيعوه بسوء الدعاء علي، وردوه خائبا إلي ."[19]

ومن يتدبر كلامه هذا يلفيه قد جمع فيه قواعد الحياة الإنسانية واختصر فيه حقائق النفس البشرية كما خلقها الله عز وجل، وما أودع فيها من الطباع والغرائز والصفات والأحوال. انظر إلى قوله عن نفسه " فقد أكون مفسدا " مع أنه رحمة الله عليه قد حمل نفسه علـــى الـــورع وملازمـــة الصلاح ، واجتهد ما استطاع من أجل الإصلاح ، ووقف عمره كله على محاربة الفساد، وشهد له بذلك الخاص والعام. لكنه مع ذلك فتح باب احتمال صدور الفساد منه. وسبب ذلك انـــه رحمة الله عليه استحضر حقيقة الحياة والإنسان، وهي أن كل مخلوق تعتريه صـــفات الضـــعف والنقص ولابد، وأن الكمال للخالق العظيم عز وجل ، وأنه لابد لكل جواد من كبوة كما يقول المثل. وهذه الحقيقة قد بينها القرآن الكريم والسنة النبوية حتى صارت أصلا مقطوعا به. فكـــل عالم مهما بلغ من العلم والمعرفة يجوز عليه الخطأ والغلط لأنه " فوق كـــل ذي علـــم علـــيم " وإن كل ولي صالح ورع تجوز منه المعصية وتقع منه السيئة وتبدر منه الهفوة، لأنه " كل ابـــن آدم خطاء وخير الخطاءين التوابون " [20].

وفي هذا المعنى يقول الإمام الشافعي رحمه الله :

كلما أدبني الدهـــــــــــــــــــــــــر أراني نقص عقلي
وأراني ازددت علما زادني علما بجهلي

واعتمادا على هذه الحقيقة أمر بديع الزمان النورسي بالتثبت من كل ما يصدر من الأفكار عـــن العلماء مهما بلغ شأنهم، لأن الاحتمال قائم دائما أن يصدر الخطأ والسهو من العالم ، فينظر في الأفكار بحسب منهج المعرفة الإسلامية فيحكم عليها بحسبه، فما ظهر أنه حق أخذ به، ومـــا ظهر أنه باطل ترك ولو كان قائله أعلم أهل زمانه. ولا شك أن من مظاهر الضعف والركود في الفكر الإسلامي المعاصر عدم تحكيم هذا الأصل وإغفال هذه القاعدة، فتجد كثيرا من المسلمين

---

19 - مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان" ص 227 .

20 - جامع الترمذي، كتبا صفة القيامة.

– وخاصة منهم الشباب الذي هو في بداية حياته العلمية– يجعل الرجال حجة على الحق، فتجد طائفة تتمسك بهذا المذهب لأنه قول شيخهم أو أستاذهم أو إمام جماعتهم وهيئتهم. وفي مقابل ذلك يعرضون عن حكم أو مذهب لأنه قول فلان وهو مخالف لشيخهم وإمام جماعتهم .

ومما يستلفت النظر أيضا من كلام النورسي المتقدم قوله " ولا تفتحوا القلب لكل طارق. فيظل ما أقوله لكم في يد خيالكم، واعرضوه على المحك، فإن ظهر أنه ذهب فأرسلوه إلى القلب، واحفظـــوه هناك...." وهو كلام نفيس أوجز فيه رحمه الله حقيقة أخرى من حقائق الإنسان ومـــا أودعـــه الله تعالى في النفس البشرية من الطباع والخصائص. فقد أمر هنا بتأخير القلب حتى ينتهي العقـــل مـــن نظره، وتستكمل مناهج البحث العلمي عملها، حتى إذا ظهر أن هذا الكلام سليم موافق للحق، فتح القلب ليستقبله. وإنما نص رحمه الله على هذا لأن من خصائص قلب الإنسان أنه إذا أحـــب شـــيئا وغالى في حبه، تعطل العقل في شأنه ، كما ورد " حبك الشيء يعمي ويصـــم ". فـــإذا تحركـــت عواطف القلب قبل بحث العقل ونظره، فإنه لا يؤمن أن يظهر الحق بـــاطلا والباطـــل حقـــا. وإن الدراسات النفسية المعاصرة قد أثبتت ذلك بالتجربة المتكررة. فمن المعـــروف في هـــذا المجـــال أن الشخص الذي ينتمي إلى مذهب فكري أو حزب سياسي أو طائفة خاصة لها مذهب تخـــالف بـــه غيرها، إذا كان ممن يحب مذهبه ويتمسك به إلى حد الغلو، ويتعصب له إلى درجة المغـــالاة ، فـــإن هذه الصفة التي تلتبس بقلبه، قد تحمله على الكذب في كلامه من غير أن يقصد ذلك. وهذا وجـــه ما عرف عند علماء الحديث النبوي برد رواية المبتدع الداعية، وهو الذي يتعصب لمذهبه ويشـــهره بين الناس ويزينه ويفضله على غيره، ويتفانى في دعوة الناس إليه. فبسبب هـــذا التعصـــب تركـــوا روايته وردوا حديثه، مع أنه قد يكون مستقيما في دينه، لكنه غلوه في حب مذهبه قد ملـــك عليـــه عقله وقلبه، ولذلك قد يحرف الرواية لتستقيم مع مذهبه من غير أن يقصد التحريف والتزوير. يقول ابن قتيبة في بيان ذلك :" ومن كان بهذه المنـــزلة (أي له مذهب يغالي في حبه ويدعو إليـــه) فـــلا بأس بالكتاب عنه (أي الكتابة) والعمل بروايته، إلا فيما اعتقده من الهوى. فإنه لا يكتب عنه ، ولا يعمل به . كما أن الثقة العدل تقبل شهادته على غيره، ولا تقبل شهادته لنفسه ولا لابنه ولا لأبيه، ولا فيما جر إليه نفعا أو دفع عنه ضرر. وإنما منع من قبول قول الصادق فيما وافق نحلته وشـــاكل هواه، لأن نفسه تريه أن الحق فيما اعتقده، وأن القربة إلى الله عز وجل في تثبيته بكـــل وجـــه، ولا يؤمن مع ذلك ، التحريف والزيادة والنقصان ."[21] فهذا الداعية ثقة لا يستحل الكذب حتى فيمـــا يزين بدعته، لكن المحدثين ردوا روايته باعتبار خصائصه النفسية، لأن دعوته إلى بدعته يدل على أنه محب لمذهبه متعصب لرأيه إلى درجة المغالاة. وهذا الحب الشديد لمذهبه قد يحمله علـــى الغلـــط في الرواية والتحريف في النقل من غير أن يقصد ذلك.

---

21 - "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة ص 81 – 82 (ط: دار الكتب العلمية).

وقد أشار الأستاذ مالك البدري إلى أن الدراسات في علم النفس المعاصر تثبت ذلك فقال:" لقد أصبح الآن من الثابت علميا أن إدراك الفرد يتأثر كثيرا بالعوامل الانفعالية والوجدانية والفكرية التي تهيمن على سلوكه. فالدراسات التجريبية التي أجريت على المتعصبين لمذاهب متطرفة، أو أولئك الذين تحجرت اتجاهاتهم على احتقار أجناس وطوائف معينة من البشر، أظهرت هذه الدراسات أن هؤلاء الأشخاص يدركون المواقف التي لها صلة باتجاهاتهم المتحاملة إدراكا انتقائيا (SELECTIVE PERCEPTION) لا يتذكرون فيما يسمعون أو يشاهدون إلا الجوانب التي تؤيد اتجاهاتهم. أما النواحي التي تتعارض مع اعتقاداتهم، فهم إما يفشلون عن ملاحظتها أصلا أو ينسونها بسرعة أو يشوهونها بطريقة أو أخرى، حتى تتسق مع أفكارهم. ولا يتعمد مثل هؤلاء الكذب عندما يسردون الوقائع التي شاهدوها أو سمعوها مشوهة ناقصة، فالأمر يتم بطريقة لاشعورية ملتوية تفوت على أكثر المتعصبين المتحاملين صدقا وأمانة.[1] ثم أورد مثالا لإحدى التجارب في هذا الموضوع وهي أن باحثا أمريكيا أحضر صورة لرجل زنجي أمريكي حسن الهندام يقف بجوار رجل أبيض يحمل خنجرا كبيرا. وعرض الباحث هذه الصورة على جماعة من الأمريكيين الذين عرفوا بالتعصب ضدا على الزنوج، ثم بعد مدة عاد فسألهم عن ما شاهدوه في الصورة، فأجاب أكثرهم بأن الخنجر كان بيد الزنجي. أما غيرهم ممن لم تظهر عليه علامات التعصب العنصري فقد ذكر الصورة على أصلها وهي أن الخنجر بيد الرجل الأبيض. يقول الأستاذ مالك البدري:" وكلما ارتبطت هذه الاتجاهات بالجوانب الانفعالية الحماسية وكلما نشط الأفراد في الدعوة لأفكارهم وكلما شعروا بتهديد المجتمع لاتجاهاتهم الشاذة، كلما ازدادت ظاهرة الإدراك الانتقائي هذه"([2]

فلهذا كله ندرك قيمة كلام سعيد النورسي وأمره بتقديم العقل أولا وإعمال النظر العلمي المجرد عن عواطف القلب وما يحب وما يكره . فلو أحب القلب عالما وتفانى في حبه، وجاء الحق على خلاف كلامه، فإن نور الحق يجب أن يغلب قوة هذا الحب، بل الحب الحقيقي لا يكون إلا للحق حيث كان . وفي هذا المعنى جاء الحديث النبوي: " الحكمة ضالة المؤمن أنه وجدها فهو أحق الناس بها ." [22] ومنه قول الله عز وجل " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . وإن تلووا أو تعرضوا فإن كان بما تعملون خبيرا ". وقوله تعالى :" ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى". فالحق والعدل حجة على الرجال وليس الرجال حجة على الحق، فالعبرة بالحق وليس بالرجال، والنظر المعتبر يكون للأفكار وليس للأشخاص .

---

1 – ((منهج النقد عند المحدثين)) للأعظمي ص 41 .

2 – نفسه ص 42 .

3 – نفسه .

22 - جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة.

ويدخل في هذا الأصل أيضا عدم التعيين والكف عن ذكر الأسماء وتسمية الأشخاص عند تصحيح الأفكار ومناقشتها والرد عليها. فإذا تعين الرد والتصحيح، فليكن الرد على الأفكار كما هي من غير نسبتها على التعيين، وذلك لقطع طريق نـزعات النفس عند هذا المخالف وليبقى أقرب إلي الإنصاف. وقد كان هذا منهج الأستاذ سعيد النورسي ويظهر ذلك واضحا في (رسائل النور). ففي أحيان كثيرة يناقش الأفكار ويحلل في صيغة سؤال وجواب، كأن يقول مثلا: فإن قيل كذا وكذا، فالجواب كذا وكذا. مثال ذلك قوله: ((لقد ورد في حديث شريف-اختلاف أمتي رحمة- والاختلاف يقتضي التفرق والتحزب والاعتداد بالرأي... الجواب... أن الاختلاف الوارد في الحديث هو الاختلاف الإيجابي البناء المثبت...))(61). وهذه الأسئلة التي يوردها إنما هي أفكار متداولة في عصره، بل إن (رسائل النور) في جملتها رد على معظم المذاهب والأفكار المتداولة في عصره، خاصة أفكار العلمانية والمتصوفة وبعض علماء عصره، ومع ذلك فإنه لا يذكر الأشخاص ولا يعين المقصود بالرد والتصحيح. وعندما يحكي كلاما عن عالم من علماء عصره أو حادثة عنه في سياق الرد والتخطئة، فإنه يأتي به في الغالب مبهما مثل قوله: ((كان أحد أصدقائنا السابقين يحمل في قلبه ضغينة وعداء نحو شخص معين، وعندما أثني على هذا الشخص أمامه في مجلس وقيل في حقه أنه رجل صالح وانه ولي من أولياء الله، رأينا أن هذا الكلام لم يثر فيه شيئا فلم يبد ضيقا من الثناء على عدوه، ولكن عندا قال أحدهم أنه قوي شجاع رأيناه قد انتفض عرق الحسد والغيرة لديه...))(62) .

يقول أحمد نوري النعيمي وهو يبين المنهج المتبع في رسائل النور: ((فهي تمتاز بالعلمية والوضوح التام لمعانيها واتباع الهجوم الحاد على أفكارهم، ولكن مع ذلك يبتعد في نقده أو هجومه عن ذكر الأشخاص... و أما فيما يتعلق بأسلوبه مع معارضيه من علماء الدين وشيوخ الصوفية، فهو يتميز بالهدوء والأدب الغزير والابتعاد عن الهجوم والتقليل من شخصياتهم))(63). إن هذا المنهج-منهج الرد على الأفكار وتوقي تعيين الأشخاص- إنما كان لسعيد النورسي فضل تجديده وإحيائه وإلا فهو منهج راسخ عند السلف الصالح، خاصة في القرون الثلاثة الأولى، ثم تردد عبر العصور عند المحققين من علماء الإسلام.

والأصل الأول لهذا المنهج هو القرآن الكريم ، فقد نـزلت آيات كثيرة في بيان عقيدة التوحيد والإيمان بالله عز وجل ونفي الإشراك به. وفي هذا السياق كان الرد على عقائد الكفار و الملحدين والمشركين، وبيان سفه عقولهم وقلة علمهم، فحكى القرآن الكريم أفكار المخالفين وعقائدهم كما هي من غير تقول عليهم ولا زيادة أو نقصان، ثم تولى الرد عليها وبيان بطلانها

(61) – ((المكتوبات))ص 347.

(62) –((اللمعات)) ص 238 .

(63) –((الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا)) ص 88.

من غير ذكر أشخاص ولا تعيين أسماء . وعلى كثرة أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثرة الوقائع والأحداث التي أوذي فيها صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه، لم يصرح القرآن الكريم باسم واحد منهم إلا أبا لهب في قوله عز وجل :" تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(1)مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ(2)سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ(3)وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ(4)فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ(5)" .[23] (سورة المسد) وكثيرا ما تبدر من أحد الكفار أو المشركين أو المنافقين مكايد وإيذايات بالقول أو بالفعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لأصحابه، فينزل القرآن الكريم في الموضوع من غير ذكر اسمه. من ذلك مثلا أن الوليد بن المغيرة وصف القرآن الكريم بالسحر وأمر قومه أن يصفوه كذلك، فنزل قول الله عز وجل:" ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا" إلى قوله تعالى "عليها تسعة عشر" (المدثر:12 – 30). فذكر القول وأبهم القائل. ومن ذلك أيضا قول الله عز وجل: "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ولا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (التوبة:34) . يقول الطاهر بن عاشور: " فالموصول مراد به قوم معهودون يعرفون أنهم المراد من الوعيد، ويعرفهم المسلمون ، فلذلك لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أنب قوما بأعيانهم." [24]

ومثله كشف القرآن الكريم عن كيد المنافقين ومكرهم في الخفاء، فكان يذكر الأفعال والأوصاف دون تعيين الأسماء والأشخاص. ويكفي مثلا لذلك سورة التوبة فإن قدرا كبيرا منها قد كشف أحوال المنافقين وحكى أفعالهم، حتى سميت هذه السورة بالفاضحة. عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ قَالَ: بَلْ هِيَ الْفَاضِحَةُ مَا زَالَتْ تَنزِلُ وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ حَتَّى ظَنُّوا أَنْ لَا يَبْقَى مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا.[25] * وواضح جدا لمن يقرأ هذه السورة أنها تحكي الحوادث وتذكر الوقائع وتبهم الأشخاص، فكثرت فيها صيغ تدل على أقوام معهودين لكن من غير تعيين، من ذلك قوله عز وجل:

---

23 ولعل من حكمة هذا التصريح اثبات ان آصرة العقيدة أوثق من آصرة القرابة. وفيه دليل من أدلة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، لأن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة . قال الزركشي :" أول ما نزل من القرآن بمكة " اقرأ باسم ربك " " ثم "نون والقلم" ثم " يا أيها المزمل" ثم " يا أيها المدثر" ثم " تبت يدا أبي لهب" (البرهان في علوم القرآن 193/1) فتكون بذلك خامس سورة نزلت – وفيها إخبار جازم صريح أن أبا لهب سيصلى نارا ، ومعنى ذلك أنه سيموت على الكفر لا محالة . وليس بمقدور محمد صلى الله عليه وسلم- وهو بشر – أن يقطع في هذا الحكم لولا أنه مؤيد بالوحي ، فلو لا الوحي والنبوة ما نطق بهذا. وفيما سوى هذا لم يرد في القرآن الكريم التصريح باسم أحد من خصوم الرسالة وأعدائها على كثرتهم فلم يذكر القرآن من الأسماء إلا ما ثبت في علم الله أنه سيموت على الكفر .

24 -" التحرير والتنوير " 176/10.

25 - صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب في براءة و الأنفال والحشر.

– "وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ..." الآية: 58 .

– "وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ" (الآية: 75 – 76).

– "الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ" (الآية: 79).

– " وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ" (الآية: 107).

- "لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمْ الشُّقَّةُ" (الآية: 42).
- "وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ" (الآية:81).
- " يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ" (الآية: 94).
- "يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ" (الآية: 96).

– "وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ" (الآية 61).

– "وَمِنْ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَائِرَ" (الآية: 98).

– "وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا" (الآية:124).

وأصل هذا في السنة النبوية أيضا، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم نادرا ما يذكر عيوب رجل أو قوم مصرحا بالاسم ، وإنما يذكر الأفعال والتصرفات ويقومها دون تعيين أصحابها، فكان كثيرا ما يقول " ما بال أقوام " أو " ما بال الرجل يقول كذا وكذا أو يفعل كذا وكذا " من ذلك مثلا ما فعله مع عامل له على الصدقة: عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي فَقَالَ لَهُ أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لَا. ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَتَشَهَّدَ وَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ **فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ** فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا. فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ فَقَدْ بَلَّغْتُ فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ حَتَّى إِنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى عُفْرَةِ إِبْطَيْهِ[26] *

وكان هذا أيضا منهج الراسخين من علماء الإسلام مثل الشافعي وابن قتيبة ومسلم ابن الحجاج والبخاري ، وغيرهم .

26 – صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم.

فالإمام الشافعي (ت 204) في كتابه الرسالة كان يحكي مذاهب وأقوالا ليحللها ويرد عليها من غير نسبتها إلي أحد، وإنما يقتصر على قوله ((قال قائل كذا وكذا)). ومثله فعل ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن وفي مختلف الحديث، حيث يرد على أقوال الطوائف الشاذة من غير تعيين ولا تسمية، وإنما كان لا يزيد في حكاية الأقوال عن أصحابها على قوله :" ذكروا كذا وكذا " أو " قالوا كذا وكذا" فيورد حجج مخالفيه وأدلتهم كما هي ، ثم يعلق عليها ويناقشها. ومثله فعل البخاري لما قصد الرد على بعض المخالفين ممن لا يرى الحجة بخبر الآحاد أو ممن انتحل أقوالا شاذة في العقائد، فأورد في صحيحه كتاب الإيمان وكتاب خبر الآحاد وكتاب التوحيد وكتاب الاعتصام، وكلها رد على مذاهب موجودة في عصر البخاري وقبله. من ذلك مثلا قوله في إحدى تراجم صحيحه:" باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك لقول النبي صلى الله عليه وسلم: إنك امرؤ فيك جاهلية..." قال الحافظ ابن حجر:" قال ابن طال: غرض البخاري الرد على من يكفر بالذنوب كالخوارج..."[27] ومثله قول البخاري: " باب غسل الرجلين ولا يمسح على القدمين" قال ابن حجر: " أشار بذلك إلى ما في كتب الخلاف عن الشيعة أن الواجب المسح اخذا بظاهر قراءة " وأرجلكم" بالخفض..."[28] وذكر الإمام الشاطبي في الموافقات أن المنهج السليم للرد على المبتدعة هو ذكر أفكارهم و أوصافهم دون تعيينهم، قال رحمه الله: ((ولكن الغالب في هذه الفرق أن يشار إلي أوصافهم ليحذر منها ويبقى الأمر في تعيينهم مرجى كما فهمنا من الشريعة. ولعل عدم تعيينهم هو الأولى الذي ينبغي أن يلتزم ليكون سترا على الأمة كما سترت قبائحهم فلم يفضحوا في الدنيا بهافي الحكم الغالب العام))[64]. ثم بين وجه ذلك بقوله: ((فإن كان من مقتضى العادة أن التعريف بهم على التعيين يورث العداوة والفرقة وترك الموالفة لزم من ذلك أن يكون منهيا عنه إلا أن تكون البدعة فاحشة جدا... وما سوى ذلك فالسكوت عن تعيينه أولى))[65]. ((فالترجيح بما يؤدي إلي افتراق الكلمة وحدوث العداوة والبغضاء ممنوع))[66] وحكى عن أبي حامد الغزالي أن أكثر الأخطاء والجهالات إنما رسخها العلماء من فرط المبالغة في إنكارها وتعيين أصحابها فتثور في نفوسهم نوازع الأنفة فتحصل العداوة بين الفريقين، ويبقى الإصرار على الجهالات، فلا الألفة بقيت ولا الجهالات ذهبت. وهذا ما يشير إليه بقوله: ((أكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهال أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدي والإذلاء، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة ورسخت في

---

27 - " فتح الباري " 1 / 85 .

28 - نفسه 1 / 266 .

(64) –((الموافقات)) 101/4. (دار إحياء الكتب العربية).

(65) –نفسه 102/4-103

(66) –نفسه 154/4.

قلوبهم الاعتقادات الباطلة.))[67] وفي هذا المعنى أيضا يقول سعيد النورسي :" لو كـان الـبعض يضمر سوءا، فينبغي ألا يهاجم ، لأن كثيرا من السيئات كلما بقيت مستورة تحت ستار الحسنة و لم يمزق عنها حجابها وتغو فل عنها ، انحصرت في نطاق ضيق، وربما يسعى صاحبها لإصلاحها تحت حجاب الحياء، ولكن ما أن يمزق الحجاب ويرفع حتى يرمي بالحياء فيزال، وإذا ما أظهـر معه الهجوم تتوسع السيئة توسعا هائلا "[29].

3-التزام آداب الحوار والمناظرة كما عرفها السلف الصالح.

إن من أسس آداب الحوار ومنهج الاختلاف، أن اختلاف العلماء وتناظرهم لا يكون منه بالضرورة إسقاط عدالة بعضهم والغض من قدره بسبب أنه خالف من نحبه ونجله وناظره، فإنكار العالم على الآخر لا يسقطهما أو أحدهما من مقام العلم والولاية[68]. ومن ذلك وجوب الإقرار بالحق إذا ظهر على لسان كل فريق عملا بقوله عز وجل ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُـونَ)) -المائدة:8 -. وهذا ما سماه سعيد النورسي ((دستور الإنصاف وابتغاء الحق الذي ارتضاه علمـاء فن الأدب والمناظرة والذي يتضمن: إذا أراد المرء أن يظهر الحق على لسانه دون غيره- في منـاظرة معينة- وانسر واطمأن أن يكون خصمه على باطل وخطأ فهو ظالم غير منصف، فضلا عـن أنـه يتضرر نتيجة ذلك لأنه لم يتعلم شيئا جديدا من تلك المناظرة بظهور الحق على لسانه، بل قد يسوقه ذلك إلي الغرور فيتضرر...إن طالب الحق المنصف يسخط نفسه لأجل الحق، وإذا مـا رأى الحـق لدى خصمه رضي به وارتاح إليه))[69]. فالواجب التزام المنهج الذي عبر عنه أحد السلف بقوله: ((ما ناظرت أحدا إلا وددت أن الله أجرى الحق على لسانه)). والواجب إجلال من يتصـف بـذلك كما قال الشافعي: ((ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلهما مني الا هبته واعتقدت مودتـه، ولا كابرني على الحق أحد ودافع الحجة الا سقط من عيني))[70]. ومن ذلك أن يفرح العالم إذا كفـاه غيره أمانة التبليغ كما كان السلف الصالح، فما من محدث الا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا فقيه الا ود أخاه الفتيا. يقول سعيد النورسي: ((عليكم أن تفضلوا إخوانكم في المرتب والمناصب والتكـريم والتوجه... في تلك المنافع التي هي خالصة زكية لتعليم حقائق الإيمان إلي الآخرين، فلا تتطلعوا مـا استطعتم أن يتم ذلك بأيدكم، بل ارضوا واطمئنوا أن يتم ذلك بيد غيركم لئلا يتسرب الإعجـاب إلي أنفسكم))[71].

---

(67) -نفسه 155/4.

29 - "مرشد أهل القرآن " ص 126

(68) -انظر (سيرة ذاتية)) ص 317.

(69) -((اللمعات)) ص 239.

(70) -((توالي التأسيس لمعالي محمد بن ادريس)) للحافظ بن حجر ص 137. (دار الكتب العلمية).

(71) -((اللمعات)) ص 245.

4-النظرة الشاملة المستوعبة في تقويم الأعمال والأشخاص:

ومعنى ذلك كما قال المحدثون أن العدل المرضي ليس من تحققت فيه العصمة من جميع الذنوب والمعاصي، وان الضابط ليس هو من لم يكن له غلط قط، إنما العدل من غلبت حسناته سيئاته، والضابط من كان ما يحفظ ويتقن أكثر مما يغلط فيه ويهم. وهذا من مقتضى العدالة الربانية لأن "الله تعالى يظهر عدالته الربانية في الآخرة على وفق موازنة الأعمال وتقويمها، برجحان الحسنات أو السيئات، فمن رجحت حسناته وثقلت فله الثواب الحسن وتقبل أعماله، ومن رجحت سيئاته وخفت حسناته فله العقاب وترد أعماله، علما أنه لا تؤخذ كمية "الأعمال" بنظر الاعتبار في هذه الموازنة مثلما ينظر إلى "النوعية".فرب حسنة واحدة ترجح ألف سيئة بل قد تذهبها وتمحوها وتكون سببا في إنقاذ صاحبها."[30] فلا يهجر العالم أو يحط من قدره لأنه بذرت منه أغلاط وظهرت منه زلات، وإنما ينظر هل له من الحسنات ومن الصواب والحق فيحكم بحسب الغالب عليه، لأنه لا أحد يسلم من العيب ولا أحد يعرى عن الغلط، وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون. وقد اعتبر الأستاذ سعيد النورسي من يهجر العالم أو أخاه المسلم لمجرد خطأ ظهر منه معرضا عن هذا المنهج- اعتبره- ظلما شديدا، ويصوره بقوله: ((هب إنك في سفينة أو في دار ومعك تسعة أشخاص أبرياء ومجرم واحد، ورأيت من يحاول إغراق السفينة أو هدم الدار عليكم، فلا مراء انك -في هذه الحالة- ستصرخ بأعلى صوتك محتجا على ما يرتكبه من ظلم قبيح، إذ ليس هناك قانون يسوغ إغراق سفينة برمتها تضم مجرمين طالما فيها بريء واحد. فكما أن هذا ظلم شنيع وعذر فاضح، كذلك انطواؤك على عداء وحقد مع المؤمن الذي هو بناء رباني وسفينة إلهية لمجرد صفة مجرمة فيه تستاء منها أو تتضرر، مع أنه يتحلى بتسع صفات بريئة بل عشرين منها كالإيمان والإسلام والجوار...))[(72)].

فلابد من استحضار الحسنات عند بدور السيئات ولابد من اعتبار الروابط الكلية العامة التي تربط أهل الإسلام بعضهم ببعض، ومن لم يعتبر ذلك وهجر المسلم بسبب خطأ بدر منه وظلمه فكما قال سعيد النورسي ((ما اشده من ظلم أن يحمل المرء عداء وحقدا لأخيه. فكما أنك إذا استعظمت حصيات تافهة ووصفتها بأنها أسمى من الكعبة المشرفة وأعظم من جبل أحد، فإنك بلا شك ترتكب حماقة مشينة، كذلك هي حماقة مثلها إن استعظمت زلات صدرت من أخيك المؤمن واستهولت هفواته التي هي تافهة تفاهة الحصيات، و فضلت تلك الأمور التافهة على سمو الإيمان الذي هو بسمو الكعبة، ورجحتها على عظمة الإسلام الذي هو بعظمة جبل أحد، فتفضيلك ما بدر من أخيك من أمور بسيطة على ما يتحلى به من صفات الإسلام الحميدة ظلم و أي ظلم يدركه كل من له مسكة من عقل... فما أظلم من يعرض عنها جميعا ويفضل عليها أسباب واهية أوهن من بيت العنكبوت، تلك التي تولد الشقاق والنفاق والحقد والعداء...أليس هذا إهانة بتلك الروابط التي توحد،

---

30 - " المكتوبات" ص 573 .

(72) -((المكتوبات)) ص 340.

واستخفافا بتلك الأسباب التي توجب المحبة، واعتسافا لتلك العلاقات التي تفرض الاخوة؟ فـــان لم يكن قلبك ميتا و لم تنطفئ جذوة عقلك فستدرك هذا جيدا))[73].

ومن النظر الشمولي والمنهج المستوعب الذي أدركه بديع الزمان النورسي، الموازنة بين المصـــالح والمفاسد، وبين المصالح المتفاوتة بعضها ببعض، والمفاسد المتفاوتة بعضها ببعض. فالمصالح ليست كلها على وزان واحد، والمفاسد ليست كلها بدرجة واحدة من الشر، وإنما بعض الشر أهون من بعض. والنظر السليم يقوم على قاعدة تقديم أعظم المصلحتين عند التعـــارض، وتقـــديم أهـــون الشرين، وارتكاب الشر لدفع شر أكبر منه إذا لم يمكن دفعه بالخير. وإن هذا المنهج هـــو عـــين الفقه، وهو لب الاجتهاد وصلبه، وقد تولى بيانه المحققون من علماء الإسلام، وصاغوه في قواعد عامة، وخصوه بمباحث في تصنيفاتهم، ومنهم من أفرده بالتأليف مثل عز الدين بن عبد السلام في كتابه القيم " قواعد الأحكام في مصالح الأنام" وكان مما بين من ذلك أن المصالح الخالصـــة عزيرة الوجود، والمفاسد الخالصة قليلة الوقوع، وإنما الغالب اختلاط المصالح والمفاسد . ونـــص كذلك على تفاوت المصالح والمفاسد. ومن الوقائع التي تدل على رسوخ هـــذا الأصـــل عنـــد النورسي ووضوحه في ذهنه، مشاركته رحمه الله في انتخابات عام 1957 م وتصويته للحـــزب الديمقراطي. يقول أورخان محمد علي:" ومع أن المســـلمين لم يكونـــوا ينظـــرون إلى الحـــزب الديمقراطي كحزب إسلامي(رغم وجود جناح إسلامي فيه) إلا أن توليه الحكم منذ سنة 1950 وما أشاعه من جو الحرية في البلد، وإرجاع الأذان الشرعي، والقيام بتدريس الدين الإسلامي في المدارس(وكان قبل ذلك ممنوعا في عهـــد حـــزب الشـــعب)...إنهـــاء العـــداوة الوحشـــية للإسلام...ومع أن الأستاذ النورسي لم يدخل ساحة السياسة إلا أنه قرر الاشـــتراك في هـــذه الانتخابات وإعطاء صوته للحزب الديمقراطي تنفيذا للقاعدة الفقهية " درء مفسدة أولى من جلب المنفعة"..."[31]

5-اعتبار أحوال الزمن المعاصر واستحضار واقع الحال:

ومعنى ذلك مراعاة أحوال أهل الإسلام في هذا الزمان الذي لم يعرف المسلمون من قبل زمنا مثلـــه، من جهة قوة الباطل وغلبة الشر والفساد وإغراء الشهوات، وغير ذلك من أحوال هذا العصر الـــتي تجعل التمسك بالدين والتزام التقوى والصلاح كأنما يحاول المرء نقل جبل أو يعاكس تيـــارا قويـــا. فليس من العقل أخذ عامة المسلمين بالعزيمة والتشديد عليهم، خاصة فيما هو مختلـــف فيـــه، مثـــل الإنكار الشديد على من يكشف الوجه والكفين من النساء وتفسيق من يجوز ذلك من العلماء، مـــع أن الغالب على نساء المسلمين التهتك إلي درجة البهيمية، فكيف يشدد في الإنكار على من خالفت هذا التيار القوي الغالب وسارت على مذهب معروف عند العلماء. ومن ذلك أن العصر الحاضـــر

(73) -((المكتوبات)) ص 341.

31 - "سعيد النورسي: رجل القدر في حياة أمة" ص 266 – 267 .

ضاعت فيه القضايا الكبرى والمصالح الضرورية التي جاء الشرع بحفظها، فهل يصح صرف الجهد إلي القضايا الجزئية التحسينية والتكميلية وقد ضاعت الأصول الضرورية. وهذا ما يشير إليه سعيد النورسي بقوله: ((ففي هذا الوقت الذي يتسم بالدمار الأخلاقي والروحي وبإثارة هوى النفس الأمارة وبإطلاق الشهوات من عقالها، تصبح التقوى أساسا عظيما جدا بل ركيزة الأسس، وتكسب أفضلية عظيمة حيث أنها دفع للمفاسد وترك للكبائر، إذ أن درء المفاسد أولى من جلب المنافع قاعدة مطردة في كل وقت. وحيث إن التيارات المدمرة أخذت تتفاقم في هذا الوقت... فالذي يؤدي الفرائض ولا يرتكب الكبائر ينجو بإذن الله، إذ التوفيق إلي عمل صالح مع هذه الكبائر المحيطة أمر نادر جدا. إن عملا صالحا، وإن كان قليلا، يغدو في حكم الكثير ضمن هذه الشرائط الثقيلة والظروف العصيبة))[74].

ومن هذا الأصل أن استحضار حال المسلمين في العصر الحاضر مع عدوهم. فبخلاف العصور الأولى من تاريخ الإسلام فإن شوكة المسلمين في هذا العصر قد ذبلت وقواهم قد هزلت، وأعداؤهم قد قويت وكثرت، وهي تتربص بهم من كل جانب، ومعاول الهدم لا تهدأ. فمن عرف هذا واستحضره علم أن أوجب الواجبات هو حفظ دين الأمة وحماية كيانها ورد شبهات أعدائها والتصدي للطعنات الآتية من كل جهة، وليس تتبع عورات المسلمين والإنكار على المقصرين والمخالفين في الفروع والجزئيات، والحط على من يتساهل منهم في ذلك، فكيف والعدو واقف على الثغور ويغير المرة بعد المرة. ومثل من يصرف جهده لمثل هذا- ولا هم له الا الفروع والجزئيات التي يختلف فيها الناس بين متساهل ومتحر للاحتياط-مثل من كان مع صديق له في بيت يأمره ويعظه، فأغار عليهما عدو لهما يريد اقتحام البيت عليهما، فجعل الصديق يتأهب للدفاع ومكث هو يأمره بوجوب تحسين مظهره وتجميل ثيابه، فشغله حتى اقتحم العدو وأجهز عليهما. وإن الاشتغال بالأمور المختلف فيها بين المسلمين في هذا العصر- مع هذا الخطر الداهم- عده سعيد النورسي مرضا اجتماعيا خطيرا، وحالة اجتماعية مؤسفة يدمى لها القلب فأطلق صيحة في أهل الإسلام قائلا: ((فيا معشر المؤمنين أتدرون كم يبلغ عدد عشائر الأعداء المتأهبين للإغارة على عشيرة الإيمان؟ انهم يزيدون على المائة وهم يحيطون بالإسلام والمسلمين كالحلقات المتداخلة. فبينما ينبغي أن يتكاتف المسلمون لصد عدوان واحد من أولئك، يعاند كل واحد وينحاز جانبا، سائرا وفق أغراضه الشخصية كأنه يمهد السبيل لفتح الأبواب أمام أولئك الأعداء ليدخلوا حرم الإسلام الآمن، فهل يليق هذا بأمة الإسلام... فأفق أيها المسلم واعلم أن زعزعة قلعة الإسلام الحصينة بحجج تافهة و أسباب واهية خلاف للوجدان الحي وأي خلاف، ومناف لمصلحة الإسلام كليا.. فانتبه))[75].

---

(74) -((سيرة ذاتية)) ص 314.

(75) -((المكتوبات)) ص 349.

وعلى هذا الأساس فقد كان سعيد النورسي من أوائل الدعاة إلي التقريب بين المذاهب الإسلامية في العصر الحديث، خاصة بين السنة والشيعة[76]، يقول ((فما ينبغي للشيعة أن يجابهوا أهـل السـنة بالعداء تاركين الخوارج والملحدين الذين هم أعداء الشيعة و أهل السنة معا (ثم يوجـه نـداءه إلي الفريقين) ارفعوا هذا النـزاع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسـه. وإن لم تزيلوا هذا النـزاع فان الزندقة الحاكمة الآن حكما قويا تستغل أحـدكما ضـد الآخـر وتستعمله أداة لإفناء الآخر، وبعد إفنائه تحطم تلك الأداة أيضا. فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تثير النـزاع، لأنكم أهل التوحيد، بينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلي الأخوة والاتحاد))[77].

فيجب على أهل الإسلام في العصر الحاضر استحضار هذا الوضع واعتبار هـذا الحـال. وسـبيله الاطلاع على الأحداث المعاصرة، السياسية وغيرها، ومعرفة وضع العلاقات الدولية وكل ما يـدور في العالم من الحوادث، فمن خلالها يقف المسلمون، وأهل العلم منهم خاصة، على خطورة الوضع، فذلك حري أن يحملهم على جمع كلمة الأمة وتوحيد صفوفها وصرف الجهود لهذه الأخطار الـتي تهدد المسلمين في وجودهم وحياتهم. ولهذا كان سعيد النورسي يطالع الصحف أو يكلف من طلبته من يطالعها ليقف على حقيقة الأوضاع وما يحيط بالمسلمين، وقد كان هذا السبب الـذي جعلـه يوجه جهوده ويوقف حياته كلها لصيانة الإيمان وحفظه في النفـوس، ولم يلتفـت إلي الجزئيـات والخلافات بين المسلمين. يقول الدكتور أورخان محمد وهو يترجم للنورسي : ((في أثناء إقامتـه في "وان" كان يتتبع مع طاهر باشا الأخبار التي تنشرها الجرائد، وفي أحد الأيام ناولـه طـاهر باشـا إحدى الجرائد مشيرا إلي خبر مثير هزه من الأعماق هزا عنيفا، إذ نشرت هذه الجريدة ما قاله وزيـر المستعمرات البريطانية غلادستون في مجلس النواب البريطاني وهو يحمل في يده مصحفا: "مادام هـذا القرآن موجودا في يد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، فإما أن نأخذه من يد المسلمين أو نقطـع صلته بهم". وتجاه هذا التصريح... فقد ثارت ثائرة بديع الزمان و أعطى عهدا بأن يكـرس حياتـه لإظهار إعجاز القران للعالم أجمع وقال: لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سـناها ولا يمكن إطفاء نورها))[78]

ومن هذا الأصل أيضا، اعتبار ما حصل للمسلمين في العصر الحاضـر مـن التحـول الخطـير في أوضاعهم، ذلك إن العلمانية قد ضربت جذورها وأصبح الزعماء والقادة يحمونها، فوجـد بسـبب ذلك انحراف داخلي هو وجود طائفة العلمانيين داخل بلاد المسلمين من أبناء الإسلام، فكانت هذه جبهة داخلية يجب على أهل الحق التصدي لها بالتصحيح والتقويم، لكنها جبهة ليست كغيرها، لأن

---

(76) – وقد دعا إلى هذا التقريب جماعة من المصلحين في العصر الحديث من السنة والشيعة، وأنشـئت مـن أجـل ذلـك ((دار التقريب)) بالقاهرة، ثم من بعدها ((المجمع العالمي للتقريب)) بطهران. انظر ((تاريخ التقريب بين المذاهب الإسلامية)) لعبد الكريم عكيوي مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، عدد مزدوج 21-22ص 27-46.

(77) –((اللمعات)) ص 38.

(78) – ((سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة)) ص 26.

أصحابها منتسبون إلي الإسلام ويعدون من أهله ويقيمون في ديار المسلمين وهم من آبائهم وأبنائهم وأقاربهم. ولهذا فإن الجهاد في هذه الجبهة-في وسائله- ليس مثل الجهاد على الجبهة الخارجية، فالأول جهاد معنوي يكون بالتربية والبناء الفكري والروحي، أما إذا استعمل فيه الجهاد المادي بالسلاح فانه يؤدي إلي قتل آباء المسلمين وأبنائهم في بلادهم وديارهم، وفي ذلك من الفتنة ما لا يخفى على العاقل، أضعفها زرع الشقاق بين أهل الإسلام. ويبين النورسي وجه ذلك بقوله: ((أجل يستوجب مجابهة الهجمات الخارجية بالقوة أن أموال العدو وذراريه يكون بمثابة غنيمة للمسلمين، أما في الداخل فالأمر ليس هكذا، ففي الداخل ينبغي الوقوف أمام التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بناء، بالإخلاص التام . إن الجهاد في الخارج يختلف عما هو في الداخل... فنحن نقوم بالعمل الإيجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي. فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في العصر الحاضر))[79]. ولهذا كان يعارض بعض الجماعات التي أنشئت في عصره للجهاد المادي ضد الدولة التي تبنت العلمانية، وكان يحضها على وحدة الصف وتجنب الفرقة واتقاء الحركات والأعمال التي تكون سببا في شق صف المسلمين واتساع جرحهم[80] . وكان جوابه على إحدى الحركات التي أثارت الأكراد على الدولة : ((نحن الأكراد مسلمون والأتراك إخواننا فلا تجعلوا الأخ يقاتل أخاه، فهذا لا يجوز شرعا. إن السيف لا يشهر إلا بوجه الأعداء الخارجيين ولا يستعمل السيف في الداخل. إن السبيل الوحيد أمامنا للخلاص في هذا الزمان هو القيام بإرشاد الناس إلي حقائق القرآن وإلى حقائق الإيمان، والقيام بمكافحة الجهل الذي هو أكبر أعدائنا، لذا أرى أن تصرفوا نظركم عن محاولتكم هذه لأنها محكومة بالإخفاق، إذ سيهلك الآلاف من الرجال والنساء بسبب حفنة من القتلة المجرمين))[81].

وقد ذهب سعيد النورسي أبعد من ذلك وأعمق-مراعاة للواقع المعاصر- فدعا إلي العمل بمبدأ الاحترام وحسن الجوار مع العلمانيين داخل بلاد الإسلام حفاظا على الأمن وقطعا للطريق على العدو الخارجي وكل من يورم التشويش على وحدة الصف والأمن. يقول رحمه الله: ((ففي زمن عجيب كزماننا هذا، لابد من تطبيق خمسة أسس ثابتة حتى يمكن إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائنا من الفوضى والانقسام. وهذه المبادئ هي: 1-الاحترام المتبادل. 2-الشفقة والرحمة. 3-الابتعاد عن الحرام .4-الحفاظ على الأمن. 5-نبذ الفوضى والغوغائية والدخول في الطاعة))[82]

(79) – ((سيرة ذاتية)) ص 470.

(80) – انظر ((سعيد النورسي)) لأورخان محمد علي. ص 44-45.

(81) – نفسه ص 114.

(82) –((سيرة ذاتية)) ص 391.

واعتبارا لكل هذه الأحوال والظروف التي تحف بالمسلمين في العصر الحديث ، فقد جعل بـــديع الزمان النورسي غايته الكبرى إنقاذ الإيمان في النفوس، وترسيخ أركانـــه في القلـــوب ، بعـــد الاضطراب الذي امتد إليها من الفكر المادي. ولهذا فقد كانت رسائله كلها من أجل ذلك، فلا تكاد تجد فيها شيئا من القضايا الجزئية أو الأحكام المختلف فيها بين العلماء المجتهـــدين . وإنمـــا كانت رسائله بيانا لحقائق الإيمان ودلائل على صدق الوحي والنبوة، وإبطالا لشبه الملحدين .

وتحت هذا الأصل أيضا قرر رحمه الله أن العمل على إنقاذ الإيمان في القلوب وتجديده في النفوس، وهداية الضالين والمنحرفين، وإقامة الحجة على الملحدين ، أعظم أثرا وأكبر أجرا مـــن الاجتهاد في نيل مقامات العارفين، والترقي في درجات السالكين، لأن هذا العصر عصر إنقـــاذ الإيمان، وليس عصر الطريقة والولاية. يقول رحمه الله : " إن خدمة رسائل النـــور هـــي إنقـــاذ الإيمان، أما الطريقة والمشيخة فهي تكسب المرء مراتب الولاية. وإن إنقاذ إيمان شـــخص مـــن الضلال ، أهم بكثير وأجزل ثوابا من رفع عشرة من المؤمنين إلى مرتبة الولاية، حيث إن الإيمان يكسب الإنسان السعادة الأبدية ويضمن له ملكا أوسع من الأرض كلها. أما الولاية فإنها توسع من جنة المؤمن وتجعلها أسطع وأبهر " [32].

فهذه هي القواعد العملية التي يقتضيها أساس اعتبار أحوال الزمن المعاصر واستحضار واقع الحال.

6-مراعاة الخلاف عند تعذر الاتفاق:

فبعد الاجتهاد لمعرفة الحق والصواب والحرص على الاجتماع، فإن تعذر الاجتماع على رأي واحـــد وجب على المختلفين إعمال أصل مراعاة الخلاف، وهو يقوم على عدم اعتبار المختلف فيه كـــالمتفق عليه، وأن العالم إذا تكلم فيما يعلم أن له مخالفا فيه فإنه يجري الحكم على صيغة تراعـــي الطـــرف المخالف. أي إن عليه أن يتساهل في ما يعتقد صحته مراعاة للطرف المقابل المخالف. وهـــذا معـــنى قول النورسي: ((عليك أن تقول الحق في كل ما تقول، ولكن ليس لك أن تـــذيع كـــل الحقـــائق. وعليك أن تصدق في كل ما تتكلمه، ولكن ليس صوابا أن تقول كل صدق. لأن من كان على نية غير خالصة-مثلك- يحتمل أن يثير المقابل بنصائحه فيحصل عكس المراد))[(83)]. ويـــدخل في هـــذا الأصل وجوب حفظ حرمة هذا المخالف في الرأي وعدم تجريحه ووجوب نصرته والتعاون معه فيما يتفق عليه أهل الإسلام. وفي العمل بهذا الأصل كان النورسي يؤازر جميع أهل الإسلام ويتعاون مـــع من يخالفه في الرأي وفي الوسائل. فقد كان درويش وحدتي من مؤسسي ((الاتحاد المحمـــدي)) مـــن

32 مرشد أهل القرآن ص 73

(83) -((المكتوبات)) ص 343.

أجل مواجهة مظاهر العداء للإسلام التي أقحمت في الحياة في تركيا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين. وقد غلب عليه طابع الشدة والعنف وهو ما كان يعارضه النورسي، ومع ذلك فقد حضر الاجتماع الذي أعلن فيه عن إنشاء " الاتحاد المحمدي" وألقى فيه خطبة في نحو ساعتين حث فيها على التمسك بآداب الإسلام وتناول فيها أهم القضايا التي تثير العناية آنذاك. ولما أصدر "درويش وحدتي" جريدة "وولقان" كان بديع الزمان ينشر فيها مقالاته على رغم مخالفته لدرويش وحدتي ومعارضته لمنهجه، وكان يكتب إليه يبين حججه فيما يخالفه فيه بتوقير واحترام، فكان مما كتب إليه يشرح معارضته لأسلوب العنف والشدة في الكتابة :" إلى أخي الدرويش وحدتي، إن الأدباء يجب أن يتحلوا بالأدب، ولا سيما الإسلامي، وليكن الضمير الديني هو الحارس لنظام المطبوعات"[84].

7- التحلي بضبط النفس وتحري الإنصاف مع المخالف الذي لا يفتأ يجرح ويخرق ضوابط الخلاف المحمود

إذا تحرى المسلمون-و أهل العلم خاصة- جميع أسس الوحدة وآداب الاختلاف النظر والاجتهاد، ثم وجد-على رغم ذلك- من لا يكف عن الطعن والتجريح والتعصب للرأي، فإن الأستاذ النورسي قد أشار إلى أمثال هذا بقوله: " إن كنت تريد أن تعادي أحدا فعاد ما في قلبك من العدوان واجتهد في إطفاء نارها واستئصال شأفتها، وحاول أن تعادي من هو أعدى عدوك وأشد ضررا عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك فقاوم هواها و اسع إلى إصلاحها ولا تعاد المؤمنين لأجلها. وإن كنت تريد العداء أيضا فعاد الكفار والزنادقة فهم كثيرون. واعلم أن صفة المحبة محبوبة بذاتها جديرة بالمحبة، كما أن خصلة العداوة تستحق العداء قبل أي شيء آخر"[85]. ثم أشار على عامة المسلمين بمنهج التعامل مع أمثال هذا وهو دفع السيئة بالحسنة وعدم الاسترسال في الرد بمثل ما بدأ به من التجريح، وإنما يقابل بالإحسان لعله يندم ويرجع عن ركوب رأسه، وفي هذا إعمال لقوله تعالى: ((وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)) (الفرقان: 72). أما إذا قوبل بمثل ما بدأ به فإن نار العداوة تزداد وتمتلئ القلوب غيضا فيغيب سلطان العقل ويحتجب الإنصاف، كما قال الشاطبي: "إن الطعن في مساق الترجيح يبين العناد من أهل المذهب المطعون عليه ويزيد في دواعي التمادي والإصرار على ما هم عليه، لأن الذي غض من جانبه مع اعتقاده خلاف ذلك، حقيق لأن يتعصب لما هو عليه ويظهر محاسنه فلا يكون للترجيح المسوق هذا السياق فائدة زائدة على الإغراء بالتزام المذهب، وإن كان مرجوحا فإن الترجيح لم يحصل... فبينا نحن نتتبع المحاسن صرنا نتتبع القبائح... فكان المرجح لمذهبه على هذا

(84) -"سعيد النورسي " لأورخان محمد علي، ص:44

(85) - "المكتوبات" ص: 343.

الوجه غاض من جانب مذهبه فإنه تسبب في ذلك"[86]. فمنهج قتل العداوة هو معاشرة الأصـــدقاء بالمروءة والإنصاف ومعاملة المسيء من أهل الإسلام بالصفح والصفاء. وإذا حصـــل أن اســـتحكم العداء من قلب المرء فلم يستطع له ردا، فأضعف ما يجب عليه ألا يعمل بمقتضاه فلا يظلم صاحبه " لأن الخلق السيئ إن لم يجر أثره وحكمه، وإن لم يعمل بمقتضاه —كالغيبة مثلا- وعـــرف صـــاحبه تقصيره فلا ضير"[87]. ثم ليكف لسانه عن ذمه والتهوين من شأنه، ثم ليجتهد في ما يعتقده صـــوابا من غير تعريض بالمخالف، وهذا كما قال سعيد النورسي هو: " العمل الإيجابي البناء وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب من دون أن يرد إلى تفكيره أو يتدخل في عمله عـــداء الآخـــرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلا"[88] وهذا أضعف المطلوب.

ومن إعماله رحمه الله لهذه القاعدة فيما يعرض له من العداء وما يجابه به من الخصومة والإذاية مـــن خصومه، ما حكاه في قوله:" قبل سنتين ذكر مدير مسؤول (يلاحظ هنا التزامه قاعدة " العبرة بالأفكار وليس بالأشخاص" ولهذا أبهم الشخص وذكره بوصفه دون اسمه) في غيابي كلمـــات ملفقة ، فيها إهانة وتحقير لي دون سبب ومبرر. ونقل الكلام إلي، تألمت ما يقرب مـــن ســـاعة بأحاسيس سعيد القديم، ثم وردت برحمته سبحانه وتعالى إلى القلب حقيقة أزالت ذلك الضـــيق ودفعتني لأصفح عن ذلك الشخص. والحقيقة هي : قلت لنفسي : إن كان تحقيره وما أورده من نقائص تخص شخصي ونفسي بالذات، فليرض الله عنه إذ أطلعني على عيوب نفسي. فإن كان صادقا فسوف يسوقني اعتراضه إلى تربية نفسي الأمارة وتأديبها، فهو إذا يعاونني في النجاة من الغرور. وان كان كاذبا فهو عون لي أيضا للخلاص من الرياء ومن الشهرة الكاذبة الـــتي هـــي أساس الرياء . نعم إنني لم أصالح نفسي قط ... فإن نبهني أحد على وجود عقرب في أي جزء من جسمي على أن أرضى عنه، لا امتعض منه . أما إذا كانت إهانته تعود لصفتي كوني خادما للإيمان والقرآن ، فتلك لا تعود لي ، فأحيل ذلك الشخص إلى صاحب القرآن .... وإن كـــان كلامه لأجل تحقيري... فهذا أيضا لا يخصني وأهملت الحادثة واعتبرتها لم تقع ونسيتها " [33]وعبر عن هذا في صيغة قاعدة عامة وسنة مطردة، فذكر أن العداوة والإذاية من الحساد والخصوم ، حاصلة لا محالة لمن يسعى للبناء ويجتهد لإعلاء منارة الخير ورفع راية الفضيلة ، فلا بد لـــه مـــن التحلـــي بالحكمة واليقظة . يقول رحمه الله :" وما دمنا نعمل من أجل حقيقة هي من أهم الحقائق وأجلها ..... فلا بد إذا من أن نصمد بكمال المتانة والصبر تجاه جميع الويلات والمحن التي قد تنـــزل بنا وان نواجه بصدر رحب جميع مضايقات الأعداء. إذ من المحتمل جدا أن يحرك ضدنا مشايخ أو

(86) –"الموافقات" 4/153-154.

(87) – "اللمعات" ، ص: 228.

(88) –"اللمعات" ، ص:228.

33 – مرشد أهل القرآن ص 205-206

علماء متظاهرون بالتقوى مخدوعون بأنفسهم أو بتحريض غيرهم لهم . وتجاه موقف كهذا لابد لنا من المحافظة على وحدتنا وتساندنا، وعدم تضييع الوقت معهم في الجدل و النقاش الفارغ "[34]
.

8- أخذ الحذر وتحري الفطنة واليقظة:

فأهل الباطل يغيضهم اجتماع أهل الحق وتعاونهم، لذلك لن يكفوا عن التشويش عليهم وسيجتهدون في ذلك ما استطاعوا، فعلى أهل الحق التيقظ والتنبه لذلك وأخذ الحيطة من محاولات دس العداوات بين أهل الإسلام خاصة بترويج الشائعات، لأن هذا العصر عصر الشائعات بسبب انتشار وسائل الإعلام وتعددها وتنوعها، فيجب التوقف في كل ما ينشر من ذلك، خاصة ما فيه نسبة جريمة إلى أحد أو جهة من أهل الإسلام أو ما يفيد وجود وقيعة بين المسلمين، وذلك عملا بقوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)). (الحجرات:6) فيجب عدم الالتفات إلى التشويش والاستفزاز. ولقد كان سعيد النورسي يوصي طلبته بالحذر والفطنة والتيقظ لما يعلمه على جهة اليقين من وجود من أقحم بينهم بقصد الإفساد وتثبيط العزائم، بإلقاء اختلاف الأفكار والمشارب[(89)]، وكان يوصي خاصة بالاحتياط الشديد فيما يتكلم به المرء، لأن هناك الكثير ممن يترصد فيؤول كل كلام محتمل-كما قال- " لأن وضعنا الحاضر كله جد لا هزل فيه"[(90)]. وكان هو نفسه يحسن الظن فيما لم يتيقن صحته من الأخبار، و لم يكن يقبل أن يغتاب أحد أمامه، وذلك لقطع طريق الشائعات وأصحابها[(91)]. فقد كانت ترد عليه رسائل فيها أسماء علماء وشيوخ الصوفية وانهم يعادون الأستاذ النورسي ويحملون على رسائل النور، فكان لا يلتفت إلى ذلك ويقول: " نحن مكلفون بحسن الظن"[(92)].

وكان هذا المنهج هو موضع الخلاف بينه وبين "درويش وحدتي" ولذلك كان يقول عنه :"إنه متمسك بالدين إلا أنه يعوزه المنطق العقلاني"[(93)] أي أنه بأسلوب العنف والغلو والشدة ييسر السبيل للعدو للكيد والاستفزاز وجر أهل الحق إلى ارتكاب أخطاء قاتلة، لأن الغلو والشدة في غير موضعها تظهر الغوغاء فيختلط الحق بالباطل فيسهل اتهام البريء وتبرئة المتهم.

وقد تأسف النورسي كثيرا على اضطراب هذا الأصل عند أهل عصره، وعدم تفطن العلماء والصالحين أنفسهم له ، فغابت عنهم اليقظة والحذر ففسد ما بينهم، وقطعت الروابط النورانية

34مرشد أهل القرآن ص 125 .

(89) –انظر "سيرة ذاتية"، ص: 424-425.

(90) – نفسه، ص: 419.

(91) – انظر المصدر نفسه، ص: 529-530.

(92) –نفسه، ص: 530.

(93) –"سعيد النورسي" لأورخان محمد علي، ص: 44

التي تجمع أهل الإيمان، واتجهت جهود علماء الإسلام إلى رد بعضهم على بعض، وانتقاد بعضهم بعضا، فتمهدت السبل أمام الخصوم لتغريب الأمة وتمزيق صفها وقتل وحدتها. يقول رحمه الله :" فأسفا وألف أسف لأهل العلم ولأهل التقوى الضعفاء، الذين يتعرضون في الوقت الحاضـــر إلى هجوم ثعابين مرعبة، ثم يتحججون بهفوات جزئية شبيهة بلسع البعوض، فيعـــاونون — بانتقـــاد بعضهم البعض– تلك الثعابين المماردة، ويمدون المنافقين الزنادقة في تـــدميرهم وتخريبـــهم ، بـــل يساعدونهم في هلاك أنفسهم بأيدي أولئك الخبثاء " [35] ولهذا كان رحمه الله كثيرا مـــا يوصـــي طلبته وأصحابه بالفطنة والحذر، كما في قوله:" إن أول ما نوصيكم وآخره، الحفاظ على وشائج تساندكم ، وتجنب الأنانية والغرور والحسد والمزاحمة. عليكم النفور من هذه الأمور، مع التحلي بضبط النفس والأخذ بالحذر. في خضم التيارات الرهيبة والحوادث المزلزلة للحياة والعلم، ينبغي أن يكون الإنسان على ثبات وصلابة لا تحد بحدود، وضبط للنفس لا نهاية له، واستعداد للتضحية لا منتهى لها " [36].

إعمال الشورى في الاجتهاد والحكم عن طريق "مجلس الشورى العلمي" و "النظام النيابي البرلماني"

وهذا الضابط هو تمام هذه الضوابط والأسس، لأن جميع هذه الضوابط المتقدمة إنما تمنـــع التنـــازع بسبب الاختلاف في النظر، وتقي من خطر العداوة والشقاق، وتحمل المختلفين من أهل الإسلام، في النظر والاجتهاد، على مراعاة بعضهم بعضا، وتحثهم على ضرورة تقسيم الأعمال وصرف الجهـــود إلى ما تمس الحاجة إليه، واعتبار اجتهادات جميع أهل الإسلام يكمل بعضها بعضا. فهذه الضوابط لا تمنع الخلاف والاختلاف وإنما تجعل الاختلاف ثراء في التفكير ومظهرا لغلبة روح الاجتـــهاد ونبـــذ التقليد. ثم يأتي هذا الضابط ليمنح الحياة لهذا الثراء الفكري، لأنه يعين على تحري الصواب ومعرفـــة الحق والترجيح بين المذاهب والآراء، ويحسم الفوضى الناشئة من تعدد الآراء عندما يتعين التـــرجيح للشروع في العمل حيث لا يمكن الجمع بين أكثر من مذهب واحد في العمل. وقد قـــدم الأســـتاذ النورسي ضابطا عمليا في العصر الحاضر وهو العمل من خلال هيآت ومؤسسات للتشاور في مجـــال العلم وفي مجال السياسة وتدبير الأحوال العامة للأمة.

وقد عد الاستبداد بالرأي ونبذ الشورى ظلما كبيرا وشركا خفيا فقال رحمة الله عليه :" اعلم أن من ظلم البشر إعطاء ثمرات مساعي الجماعة لشخص وتوهم صدورها منه، فيتولد من هذا الظلم

35 مرشد أهل القرآن ص 116

36 مرشد أهل القرآن ص 227

شرك خفي، إذ توهم صدور محصل كسب الجماعة وأثر جزائهم الاختياري من شخص، لا يمكن إلا بتصور ذلك الشخصي ذا قدرة خارقة ترقت إلى درجة الإيجاد. وما آلهة اليونانيين والوثنيين إلا من تولدات أمثال هذه التصورات الظالمة الشيطانية " ومن يتدبر كلامه هذا يلفيه قد وضع رحمه الله يده على موطن الداء من جسد الأمة الإسلامية في العصور المتأخرة، لما فشا الاستبداد السياسي وغلب الحجر الفكري، وساد التقليد والتعصب الفكري، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، واستئثار كل ذي سلطان بنظره، فتعطلت عقول الأمة وشلت قواها، وسكنت حركة الاجتهاد فيها. ولهذا فإن دواء ذلك – كما ذهب إليه بديع الزمان النورسي – هو ترسيخ ثقافة الحوار وتثبيت الشورى في جميع المجالات ، حتى تتلاقح أفهام المتخصصين، وتتعاون أنظار المجتهدين، وتتقابل أفكار أهل العلم والنظر في الأمة، وعند العمل يتم اختيار ما توافقت عليه أكثر الأنظار وأيدته أغلب الآراء والاجتهادات . وقد اهتم بديع الزمان النورسي خاصة بمجالين اثنين، بحكم خطورتهما ولأن غيرها من المجالات يقوم عليها : مجال العلم والفكر، ومجال الحكم والسياسة، فوضع طرقا عملية صالحة للتنفيذ ، يتم من خلالها إعمال أصل الشورى في هذين المجالين.

أما في المجال العلمي فهو دعوته إلى إنشاء مجلس للاجتهاد يتم فيه التشاور بين أهل العلم والكفاءة والخبرة. يقول: " إن كل من يجد في نفسه كفاءة واستعدادا للاجتهاد يمكن أن يجتهد، ولكنه لا يكون بهذا الاجتهاد موضع عمل إلا عندما يقترن بتصديق نوع من إجماع الجمهور"[94] فهذا المجلس غرضه قطع دابر الشذوذ في الآراء والعمل بما يتفق مع رأي جمهور الأمة، وجعل ما يصدر عنه له من القوة ما يصح جعله ملزما. وهذا المجلس يمكن أن تتنوع هيئاته وأشخاصه بحسب العلوم، ففي مجال التفسير مثلا يقول سعيد النورسي: "أريد تشكيل مجلس شورى علمي منتخب من العلماء المحققين كل منهم متخصص في علم، ليقوموا بتفسير عظيم ويجمعوا المحاسن المتفرقة في التفاسير ويهذبوها. وهذا الأمر مشروط بأن تكون الشورى مهيمنة في كل شيء، والأفكار العامة مراقبة وحجية الإجماع حجة عليه"[95]

أما في المجال السياسي والشؤون العامة فإن سعيد النورسي يرى أن النظام النيابي البرلماني هو أرقى ما وصل إليه الاجتهاد البشري لضبط مسألة الاختلاف في النظر والاجتهاد، ويرى أيضا أن هذا النظام إذا دخل تحت ضوابط الشريعة فإنه قمن أن يحسم فيما يجب العمل به من أمور الأمة العامة عندما يجتهد فيها أهل الاختصاص فيختلفون. ولهذا فإنه كان دائما يقيد "المشروطية" بصفة الشرع فيقول

(94) – "صيقل الإسلام" ، ص: 353.

(95) –نفسه،ص: 37.

مثلا " " إن كانت المشروطية والقانون الأساسي هما الموضوع الذي سمعتم عنه فهما عبارة عن المشورة الشرعية، تلقوهما بترحاب وحافظوا عليهما".[96]

خاتمة

هذه خلاصة نظرات بديع الزمان النورسي في مسألة الاختلاف الفكري والتنوع العلمي، وهذه هي المسالك العملية الواضحة التي اختطها لنفسه وسار عليها، ونصح بالسير عليها من أجل ضمان الوحدة الفكرية بين المسلمين، مع حفظ حقوق كل من كان من أهل النظر والاجتهاد في إعمال جهده ونظره من غير حجر عليه ولا حرج. فهي وحدة فكرية تتحرك داخلها الأفكار وتتنوع فيها الأنظار وتتناظر الأفهام، والقصد هو بلوغ الحق وتحري الصواب. فإن حصل الاتفاق بين المجتهدين فهو الغاية المرجوة، وإلا وجب مراعاة المختلفين بعضهم بعضا، مع التزام الضوابط العملية التي تمنع الخلاف الفكري من أن ينال من وحدة المسلمين، أو يؤثر على اجتماع كلمتهم.

وإذا كان هذا المنهج النورسي واضحا في معالمه، سليما في أصوله، قويا في أدلته الشرعية التي يستمد منها، فإن بديع الزمان النورسي لم تكتحل عينه برؤية هذه الوحدة الفكرية على هذا النحو الذي تصوره واجتهد من أجله، و لم تطمئن نفسه بمعاينة هذا المنهج في الاختلاف يتحقق بين أهل العلم في عصره، وإنما رحل رحمة الله عليه إلى الدار الآخرة، وفارق الدنيا والخلاف على أشده بين طوائف المسلمين، والعداء مستحكم حتى بين المنتسبين إلى العلم والفقه. وقد اجتهد وسعه من أجل أن يتحقق ذلك، حتى آخر أيام حياته، ثم رحل وهو يتألم ويتوجع، ولكن ليس من علة في جسده- رغم أن جسده قد تعب وكلّ من شدة ما تحمله رحمة الله عليه- وإنما يتوجع من سوء حال المسلمين وما حل بهم من العجز والضعف، وشدة الاختلاف والتدابر. لكن أمله لم ينقطع حتى وهو يحس بدنو أجله، وإنما جعل يستشرف المستقبل بعد موته، ليلقي العهدة والأمانة على من يأتي بعده. وإذا كان أمله لم يتحقق في حياته و لم يأكل من عمل يده، فإن عزاءه أن يأكل المسلمون بعد موته، ويقطفوا ثمرات يانعة طيبة من الشجرة التي غرس فسيلتها في حياته ورعاها مدة عمره. وقد عرف رحمة الله عليه أن أحوال عصره وأحداث زمانه ستحول بينه وبين غاياته النبيلة التي اجتهد من أجلها، فلئلا ينال ذلك من عزمه أو يضعف من جده وقوته، جعل غايته أن يصله — وهو راقد في قبره- شيء من الجزاء المعنوي، يؤنسه في وحشة قبره، في الوقت الذي ينعم أهل الدنيا من المسلمين بأزهار ربيع الإسلام، وقد حسنت أحوالهم واجتمعت كلمتهم وقويت شوكتهم.فمصائب زمانه وآلام أوانه وخطوب إبانه... كل ذلك يهون عليه رحمة الله عليه إذا كان المسلمون سينعمون بعزة الإسلام بعد موته. فلنستمع إليه وهو يحاور نفسه، بين شدة آلامه وحسرته على أحوال المسلمين في زمانه، وبين

---

(96) -"مفتاح أهداف الجمهورية في ضوء الأفكار السياسية لبديع الزمان النورسي"، المؤتمر العالمي حول بديع الزمان النورسي استامبول - 1992م.

أمانيه وعزائه الذي يرجوه في قبره:" ماذا أفعل؟ إن قدري دفعني إلى هــذه الــدنيا في زمــان غــير زماني... إنه شتاء الإسلام الكابي الحزين، لا حيلة لي إلا أن أبذر بذور الربيع القادم الذي لا يريــد أن يبصره هذا العصر. وحين تنبت هذه الزهور وتتسنبل ويأتي ربيعها أكون قد فارقت الدنيا، لكني سوف أتنسم نسمات ربيع الإسلام وأنا راقد في قبري. فاستشراف مستقبل الإسلام هــو عزائــي وسلوتي في غربتي". وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

أهــم الــمراجــع

- "كليات رسائل النور". ترجمة إحسان قاسم الصالحي. (المكتوبات- اللمعات-صيقل الإسلام-سيرة ذاتية- الخطبة الشامية- مرشد أهل القرآن إلى حقائق الإيمان).
- "سعيد النورسي:رجل القدر في حياة أمة" أورخان محمد علي.
- "المؤتمر العالمي حول بديع الزمان النورسي" إستمبول 1992 .
- "الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا" أحمد نوري النعيمي.
- "العثمانيون في التاريخ والحضارة" محمد حرب.
- "بديع الزمان سعيد النورسي: نظرة عامة عن حياته وآثاره".
- "النورسي: أنوار لا تغيب" محمد التهامي.

فهرس الموضوعات